من لطائف اللفظ ونواعم اللحظ

في مقاصد سورة الكهف وقراءتها يوم الجمعة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

دار للنشر والتوزيع
الكويت
هاتف ٢٤٩٢٦٣٢١ - ٢٤٩٢٦٣٢٢ - النقال ٦٦٨٩٠٠٧٨ - فاكس: ٢٤٩٢٦٣٢٠
ص. ب ١٢٣٢٦ - الشامية - الرمز البريدي ٧١٦٥٣
Websit: www.hamel-almisk.com
E.mail: info@hamel-almisk.com

من لطائف اللفظ ونواعم اللحظ

في مقاصد سورة الكهف وقراءتها يوم الجمعة

عدنان عبد القادر القادري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.

إن كل سورة من كتاب الله تعالى تتناول موضوعاً واحداً وتغطيه من جميع جوانبه، وتعرضه بأسلوب يشوق القارئ المتدبر لما يقرأ. لذا تجده إذا ما قرأ السورة يحار على أي موضع يقف ليركع إن كان مصلياً، أو يغلق الجهاز إن كان مستمعاً، أو يطوي المصحف إن كان خارج الصلاة لما يجد من ترابط بين الآيات، كالعقد الذي إن حللته

تناثرت منه الدرر متتابعة.

وأغلب سور القرآن لا تخلو من قصة، وبعضها يغلب عليها الجانب القصصي، ثم غالباً ما تجد بعد كل قصة تعليقاً ينبه القارئ إلى مغزى هذه القصة. من ذلك سورة الكهف التي تقرأ كل جمعة، فقد تكللت بقصص متنوعة ولطائف بلاغية جميلة يلحظها من أنعم فيها فكره، بعد أن يتساءل ويقلب فكره رأساً على عقب.

ومن تلك التساؤلات التي تتضمن لطائف جميلة:

١- ما هو مقصد سورة الكهف؟

٢- لماذا تقرأ كل جمعة؟ وما علاقتها بالعصمة من فتنة الدجال؟

٣- ما السر في حدوث حوادث معينة لموسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام دون أن تستبدل قصص أخرى بدلاً منها؟

٤- ما الحكمة من تبادل كلمتي (**تستطيع**) و(**تسطع**) في قصة موسى والخضر من ناحية؛ وكلمتي (**اسطاع**) و(**استطاع**) في قصة ذي القرنين من ناحية أخرى؟

٥- ما الحكمة من حذف الياء في كل من كلمتي (**تعلمني**) و (**يؤتيني**)؟

في قراءة عاصم ومن وافقه؟ إذ وردت في قصة صاحب الجنتين ﴿يَأْتِيَنِ﴾ بحذف الياء بدلاً من **يؤتيني**؟ ووردت في قصة موسى ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ بحذف الياء بدلاً من **تعلمني**؟

٦- ما الحكمة من ورود كلمة ﴿عَضُدًا﴾ في حق مجموع الكفار بدلاً من **أعضاداً**؟

٧- وردت كلمة **الظن** بدلاً من كلمة **اليقين** في حق الكفار في قوله الله تعالى: ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ بدلاً من [أيقنوا أنهم مواقعوها].

٨- لماذا ذكرت هذه القصص في السورة ولم تذكر غيرها؟ ولم ذكرت بهذا التسلسل؟

وغيرها من التساؤلات.

ومن أفضل من تكلم في بعض هذه المسائل برهان الدين البقاعي في تفسيره «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور». و د. مصطفى مسلم في كتابه النافع «مباحث في التفسير الموضوعي» الذي أبدع في بيان محاور هذه السورة.

فجمعت في ذلك جهد المقل لعل الله تعالى أن يعفو عن جامعها الذي ليس له إلا ذنوب أثقلت كاهليه.

المبحث الأول
ما هو مقصد سورة الكهف

يمكن التوصل إلى مقصدها بمعرفة الموضوع المشترك بين أول السورة وآخرها، والكلمات المكررة بمرادفاتها، وتميزها عن سائر السور، ومن خلال اسم السورة.

الموضوع المشترك بين أول السورة وآخرها

أولًا: المناسبة بين أولها وآخرها

قال الله تعالى في أول السورة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ وفي آخرها ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾.

فالمناسبة بينهما أن الله تعالى ذكر في أول السورة أنه أنزل كتابه المحكم بلا خلل ولا اعوجاج مستقيماً، وقيما على جميع ما سبقه من الكتب لينذر عقوبة شديدة في الدنيا والآخرة من أشرك مع الله فقال: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، ويبشر من آمن وعمل صالحاً ﴿... أَنَّ لَهُمْ

أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾. فلا تهلك نفسك حسرة على من لم يؤمن بما في هذا الكتاب، وتوقع منه هذا الإعراض فإنا قد ملأنا الدنيا بزينة فاتنة زائلة نبلو بها ساكنيها ونفتنهم بها فإنها تغر ناظريها بلهوها ولعبها ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ فمن استجاب لها حجبته عن رؤية طرق الخير وعن الاستمتاع بنعيم الإيمان وأصمته عن سماع مزامير الحق، ومن أعرض عن زينتها وآمن بما فيه ابتلي بألوان من الفتن ولكنها زائلة ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾؛ لا نبات فيها ولا زرع ولا غرس؛ جرداء بيضاء، فزوال الفتن كزوال النعم. فمن عصم منها فاز بالثواب والأجر الحسن الدائم ﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾.

وورد في منتصفها: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾، وفي آخرها ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾. فمن تقلد فتن الدنيا وزينتها وغرق في فضولها وشهواتها وتعامت عيناه عن طرق الخير والنجاة ولم يطق سماع الحق وأبغضه لانصرافه مجتهداً في تحصيل فتات الدنيا معجباً بما حصله منها ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ خف وزنه عند الله تعالى وباء

بالخسران ﴿... فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟﴾؛ فهذا البأس الشديد الذي أنذره الله تعالى في مستهل السورة ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾. بينما من حصن نفسه من فتنها ونجا منها فآمن وعمل صالحاً فاز بأعلى درجات الجنان والنعيم المقيم ﴿... كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾؛ فهذه البشارة المذكورة في مستهل السورة ﴿... وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾.

وفي أولها ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ وفي آخرها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ حيث يدك مع الأرض دكاً دكاً؛ فتطابق أولها مع آخرها.

وفي آخر السورة ذكر الله تعالى ما بيّنه في أولها من الابتلاء بكثرة الفتن وشدتها وبلوغها الغاية في شيوع الاضطراب ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ والموج هو الاضطراب. فالناس فيها صنفان:

إما خاسر في مواجهة الفتن ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ ومصيرهم

جهنم ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦﴾.

وإما فائز ناج، استمع لكلام ربه الذي أنزله على رسوله ﷺ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا﴾ فاشتاق لرؤيته، فعظمه وخضع له، واستجاب لتحذيراته من الوقوع في الفتن فاستحق البشارة المذكورة في أولها ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. وهذه البشارة مذكورة في آخر السورة متممة لأولها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، وأعظمها الفوز بلقاء ربه والنظر إلى وجهه الكريم ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾. فبدأ بسماع كلامه في أول السورة ثم أثابه بالنظر إلى جماله والتمتع بنور وجهه الكريم في آخر السورة. فأوله كلامه وآخره التمتع برؤيته والفوز بغاية الجمال.

وفي مستهلها ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا﴾ وفي آخرها ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ فنحن في استطاعتنا لعظمتنا وجلالنا أن نذكر لكم قصصاً أخرى كثيرة تتضمن حكماً باهرة، ولكنكم لا تطيقون سماعها؛ يفنى عمركم ولا يفنى كلام الله سبحانه، إذ لو جعل البحر مداداً وحبراً لكتابة كلامه سبحانه لنفد البحر وما نفد كلام الله تعالى .ولكن عليكم بهذه الكلمة

الأخيرة الجامعة النافعة التي تلخص كل ما سبق: أن يعمل العبد عملاً صالحاً مشروعاً يحبه الله تعالى؛ لا مما ابتدعته عقول الناس وعواطفهم؛ ولكن مما شرعه الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، ثم يخلص فيه لله وحده ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، فستتوالى عليكم البشارات كاملة تامة وتنجون من كل الفتن بإذن الله تعالى.

* * *

ثانياً: تكرار بعض الكلمات

تكررت في السورة بعض الكلمات ومرادفاتها، التي لو نظمتها في عقد واحد لبرز لك عقد الاعتصام من الفتن.

١- الصبر:

تكرر ذكر الصبر في أول السورة وآخرها، بل في محورين أكد فيهما على الصبر. أما أولهما فهو محور الصبر على مجالسة فقراء المؤمنين وتقديمهم على وجهاء الكفار وأشرافهم ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾. وأما المحور الآخر فهو محور عدم الافتتان بالعلم، والصبر على التعلم ممن دونه. ففي قصة تعلم نبي الله موسى عليه السلام من الخضر ورد فيها ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، و﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ و﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾، ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾. فالصبر مناسب لما يفتن به العبد فيصبر على طاعة الله تعالى، ويصبر على عدم الانغماس في الفتن.

٢- عدم الاستطاعة

تكرر فيها ذكر الاستطاعة وعدمها. ففي محور قصة صاحب الجنتين ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾، وفي قصة نبي الله موسى عليه السلام ﴿لَن تَسۡتَطِيعَ﴾ ﴿أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ﴾، ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ﴾ ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ﴾، ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع﴾. وفي قصة ذي القرنين ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾، وفي شأن الكفار الذين فتنوا بفتن الدنيا فسكروا في شهواتها ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾.

فالاستطاعة وعدمها تتناسب مع الابتلاء بالفتن والتعامل معها بالقدرة على التغلب عليها والصبر عليها، أو عدم الاستطاعة والغرق في محيطها.

٣- الزينة وما يدل عليها

ورد فيها مقدمتها ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ﴾، وفي المحور الثاني ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، وفي زينة الآخرة ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾، وفي المحور الثالث ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، فالعبد مخير بين زينة الدنيا والافتتان بفتنها وبين الاعتصام منها والفوز بزينة الآخرة.

٤- الصعيد

ورد في مقدمتها ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨﴾ أي جرداء بيضاء لا نبات فيها ولا زرع ولا غرس، وفي شهوة المال في قصة صاحب الجنتين ﴿صَعِيدٗا زَلَقًا﴾: جرداء ملساء لا أثر للنعم التي كانت عليها. وقال سبحانه في الأرض يوم القيامة ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾ لا معلم فيها لأحد ولا قصر ولا حِمىً لأحد. وفي خاتمة قصة ذي القرنين ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ﴾ فتدك الأرض وجبالها لتصبح صعيداً بارزة، فتزول الممالك وكل ما كان يفتن العباد لتصبح أرضاً جرداء. وجميعها تشير إلى زوال جميع ما كان يفتن الخلق.

٥- الصلاح والرشاد

تكرر فيها ذكر مقابلة الفتن بالصلاح والرشد والرشاد وحسن العمل. ففي مقدمتها ﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾، ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾. وفي قصة أصحاب الكهف ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾، ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾.

وفي فتنة اختيار مجالسة فقراء المؤمنين وتقديمهم على أشراف الكفار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ

عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾، وفي فتنة شهوات الدنيا في قصة صاحب الجنتين ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾، وفي قصة نبي الله موسى عليه السلام والخضر ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، وأثر الصلاح ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾. فالرشاد والصلاح وحسن العمل في خضم الفتن أمور مطلوبة.

وفي قصة ذي القرنين: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وفي خاتمتها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾. وفي مقابل هؤلاء من قارف الفتن وغرق في محيطها المتلاطم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾.

٦- الرحمة والتيسير والرفق

هذا ما يكرم الله به عباده في خضم الفتن فتتغشاهم الرحمة، ويرافقهم من الجانب الأيمن الرفق ومن الجانب الأيسر التيسير لتخفف عنهم الآلام، وترسل إليهم البشارات، وتمسح على رؤوسهم، وتربت على أكتافهم، وتمسح دموعهم. ففي قصة أصحاب الكهف ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾، وقولهم ﴿ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾.

وفي قصة مرافقة فقراء المؤمنين وتشريفهم على أشراف الكفار جوزوا ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾، بينما أشراف الكفار ﴿وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾.

وفي قصة صاحب الجنتين ومن افتخر بأصله مقتدياً بإبليس فقد فتح الله لهم باب القفز من تلك الفتن إلى بستان المغفرة والرحمة ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾.

وفي قصة موسى عليه السلام والخضر ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾، ﴿وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾، ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾. وفي قصة ذي القرنين ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾، ﴿هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ﴾.

فكما ترى أن جميع الكلمات المكررة انتظمت في عقد النجاة من الفتن.

* * *

ثالثاً: تميزها

١- قال الله تعالى في الكهف: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾ بينما في الحجر وغافر: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ﴾، وفي الحج ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ﴾. فتميزت سورة الكهف بحذف [آتية]، ذلك لغفلة المفتون عن إتيانها وإن آمن بها ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ إلا أنه يراها بعيدة ويسوِّف في العمل لها لافتتانه بالدنيا وسكره في شهواتها.

٢- ورد فيها ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ بينما في الشعراء ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾. فتميزت الكهف بزيادة ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ وآثارهم هي أعمالهم كما قال سبحانه: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾، وقال النبي ﷺ لبني سلمة من الأنصار ذوي البيوت البعيدة عن المسجد النبوي فأرادوا السكن قريبا منه فقال ﷺ: «يا بني سلمة، ديارَكم، تُكْتَبْ آثاركم»[1] أي الزموا دياركم تكتب أعمالكم وخطواتكم في الذهاب والرواح من المسجد.

---

(١) رواه مسلم (٦٦٥).

أي فلعلك مجهد نفسك غماً وقاتلها ذبحاً من شدة الوجد على **أعمالهم الطالحة** استجابة للفتن التي فتنتهم.

٣- وجاء فيها ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ﴾ بينما في الإسراء ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ﴾، فتميزت الكهف بزيادة الاستغفار. والمناسبة بين الاستغفار والوقوع في الفتن أن الاستجابة للفتن تقتضي الاستغفار منها كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾، وأن كثرة الاستغفار عاصمٌ من الوقوع فيها.

٤- وفيها ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ بينما في السجدة ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾. أما السجدة فمقصدها الدعوة إلى التأني، فورود ﴿ثُمَّ﴾ التي تفيد التراخي مناسبة للتأني وعدم العجلة. بينما في الكهف ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ تدل على سرعة الإعراض عن التذكر لقوة جاذبية الفتن وغرورها وسرعة افتتانه بها.

٥- وفيها ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ﴾ بينما في الإسراء ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾. ففي الإسراء ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ﴾ أي لأنهم كفروا، فهو تعليل دخولهم جهنم بسبب كفرهم بالآيات.

بينما في الكهف ﴿بِمَا﴾ أي بجميع أسباب الكفر أو بأسباب كثيرة أدت إلى كفرهم؛ وهي الفتن الست، إذ لم يقل سبحانه [ذلك جزاؤهم بكفرهم] وإنما ﴿بِمَا﴾ و**ما** تدل على الجمع.

٦- ورد فيها ﴿عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا﴾. إذ قال سبحانه عن القرآن: ﴿... وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا﴾ فالقرآن الكريم ليس فيه عوج فهو كاملٌ في نفسه، ويُقَوِّمُ غيره. فمن اهتدى بهديه استقام فكمل وعُصِم من الزلل بالفتن، فكلما زل قُوِّم بالقرآن ومواعظه.

٧- ورد فيها ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ﴾، وفي الإسراء ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾. فقدم لفظ **القرآن** في الكهف لأنه يعتصم به من الفتن، ألا ترى أن قراءة سورة الكهف تعصم من فتنة الدجال. بينما في الإسراء قدم لفظ **للناس** على لفظ **القرآن** لتناسب ما سبقها من تقديم لفظ الناس ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾. فصرفنا للناس هذا القرآن من كل مثل، فليجتمع الناس ليأتوا بمثل هذا القرآن.

إضافة إلى أن سورة الإسراء سورة الخصائص التي أكرم الله تعالى نبيه بها ومنها هذا القرآن، فخص الله نبيه الإنسي بهذا القرآن.

٨- ورد فيها ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (١٠٣)﴾، وفي الشعراء

﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن﴾، وفي آل عمران ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ﴾، وفي المائدة ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ﴾.

﴿قُل﴾؛ هذا اللفظ لم تتميز به الكهف عن غيرها، إنما تميزت الشعراء بحذفها. ذلك لأن القائل هو الله تعالى بعد أن برأ القرآن عن نزول الشياطين به على النبي ﷺ ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢﴾، إذاً من الذي تتنزل عليه الشياطين؟ أجاب الله تعالى بنفسه فهو الذي يعلم خصائص نزولهم ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢﴾، لاسيما الشعراء الهائمون غير الصادقين ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤﴾ بينما سائر السور المتكلم هو النبي ﷺ.

﴿هَل﴾؛ ولم تتميز بها الكهف وإنما تميزت آل عمران بحذفها.

ولكن تميزت الكهف بالكلام بصيغة الجمع! ذلك لأن المتكلم تكلم باسم الفائزين المفلحين المعتصمين من الفتن ذوي الأوزان الثقيلة عند الله تعالى مخاطباً الخاسرين ممن لا وزن لهم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾؛ فحري به أن يتكلم بصيغة الجمع تشريفاً وتعظيماً ووزناً.

رابعاً: اسم السورة

قال د. مصطفى مسلم:

«لو نظرنا إلى هذا الاسم وإلى موضوعات السورة لوجدنا بين الاسم والموضوعات مناسبة لطيفة. إن الموضوعات المعروضة في هذه السورة الكريمة من تدبرها ولجأ إليها كانت له كالكهف الحصين من الفتن جميعها، كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ. فإن كان الوضع الذي لجأ إليه الفتية كهفاً محسوساً ملموساً فإن الكهف الذي يلجأ إليه قارئ هذه السورة كهف معنوي من عناية الله سبحانه وتعالى وحفظه وستره، فلا تؤثر فيه الفتن المعروضة ولو كانت مثل قطع الليل المظلم»[(١)].

يلخص مما سبق أن مقصد سورة الكهف بيان جميع الفتن التي يتعرض لها العبد في حياته لتفتنه عن دين الله تعالى، وكيفية الاعتصام منها.

(١) مباحث في التفسير الموضوعي (١٧٩).

المبحث الثاني
العلاقة بين سورة الكهف والدجال

ما علاقة قراءة سورة الكهف بالعصمة من فتنة الدجال؟ إذ روى مسلم عن أبي الدرداء ﵁ أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[(١)]. وروى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»[(٢)]، وفي رواية «فإنه جواركم من فتنته»[(٣)].

أولًا: سورة الكهف

مقصد سورة الكهف التحذير من جميع أنواع الفتن التي يتعرض لها العبد في دنياه لاسيما الدعاة إلى الله تعالى. وهذه الفتن ست؛ وهي:

١- فتنة القهر والظلم والتضييق بسبب تمسكه بدينه ودعوته.

---

(١) رواه مسلم (٨٠٩).

(٢) مسلم (٢٩٣٧).

(٣) أبو داود (٤٣٢١).

٢- فتنة حب مجالسة أهل الشرف والمال والتباهي بهم.

٣- فتنة الشهوات الدنيوية من مال وولد وأتباع ونساء.

٤- فتنة الفخر بأصله والطعن في أنساب الآخرين.

٥- فتنة العلم.

٦- فتنة المنصب والرئاسة.

❑ **تفصيلها**

١- فتنة القهر والظلم

إن العبد المسلم الداعي إلى الله تعالى أحياناً يتعرض للتضييق بسبب تمسكه بدينه فيُسْتَهزأ به ويُظْلَم، وأحياناً يسجن ويضرب، فيجب أن لا يرده ذلك عن دينه؛ كقصة أصحاب الكهف الذين ظلموا وضيق عليهم بسبب أنهم: ﴿قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾. فربط الله على قلوبهم وفرّوا من قومهم حفاظاً على دينهم ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾. فإذا ما نجا العبد منها ربما يتعرض للفتنة الثانية:

٢- فتنة حب مجالسة أهل الشرف والمال

إن أغلب أتباع الأنبياء هم من الضعفاء والمساكين ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾، وقال هرقل لأبي سفيان عن الضعفاء «هم أتباع الرسل»[1]. فقد يأنف من مجالسة أهل الدين وعن حضور مجالس العلم لكثرة الفقراء والضعفاء فيها، فيتركها، ويفضل مجالس أهل الشرف والمال التي يغلب عليها المفاخرة والفساد - إلا من رحم الله. فعندما يقال له: من أين أتيت؟ يجيب: من مجلس ذلك المسئول، أو صاحب الأموال، وقد خاطبني اليوم، وأكلت معه، ولاطفني ذلك الشريف، بينما أنت من أين أتيت؟ أليس من مجلس الفقراء والضعفاء الذين لا يؤبه لهم وهم نكرات في المجتمع؟ فما الذي استفدته؟

فهذه الفتنة مدعاة لترك الدعوة والطاعة والعلم والذكر فيفتتن بها. قال الله تعالى بعد قصة أصحاب الكهف: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ فخالطهم بجسدك وروحك لا تفارقهم عيناك، وإياك أن تلتفت عنهم، ولا تقل أني قد خالطتهم بجسدي فلا بأس من أن تلتفت عيناي إلى الأغنياء!! إياك إياك.

(١) رواه البخاري (٧).

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تريد الأغنياء وأهل الشرف من أهل الفسق ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾. قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هذيل ورجلان، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: أطرد هؤلاء، لا يجترئون علينا. فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1].

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾

والملحظ في الآية قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ولم يقل سبحانه: [فاتبع هواه]. لأن اتباع الهوى لم يكن بعد أن أغفل الله قلبه عن ذكره فقط وإنما اتبع هواه ابتداءً فكان السبب منه فاستوجب العقوبة فأغفل الله قلبه عن الذكر عقوبة له كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، وكقوله سبحانه: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ أي بسبب كفرهم طبع الله عليها فازداد اتباعه لهواه، فحصل اتباع الهوى قبل وبعد إغفال قلبه. أما لو كانت [فاتبع هواه] لفهم منه أنه عوقب بإغفال قلبه قبل أن يقع منه ما يستوجب العقوبة وما اتبع هواه إلا لأن الله

(١) رواه مسلم (٢٤١٣).

تعالى أغفل قلبه. بينما الصحيح أنه لما زاغ بنفسه وكفر واتبع هواه أغفل الله قلبه وأزاغه عقوبة إلهية، فاستكمل بعدها طريق الزيغ واتباع الهوى فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ **فالواو** لا تفيد الترتيب.

ثم قال الله تعالى مرغباً في مجالسة أهل الطاعة والدعوة ومرهباً من مجالسة الفساق والفجار من أهل الشرف والغنى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾. فالمرء يحشر مع من أحب، فهل تحب أن تحشر معهم يوم القيامة حينما يؤمر بهم إلى النار؟ المرء في الدنيا لا يحب أن ينتسب إلى من ارتكب جريمة شنيعة ولو كان أخاه بل يتبرأ منه، فكيف بك يوم القيامة عندما ينادى بالفاجر المتكبر من أهل الشرف والغنى على رؤوس الخلائق، فيؤتى كتابه بشماله، ويقال للملائكة بصوت يسمعه الخلائق: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ فيسلسل ويكبل بالسلاسل، ويسحب على وجهه، ويحبس إلى أن يجتمع مع أمثاله ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ أمثالهم، فهل تحب أن تحشر مع هؤلاء؟

وبعد اجتماعهم يدفعون دفعاً إلى نار جهنم ويساقون إليها، ثم

يكبكبون فيها ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ حينئذ تتحاج الجنة والنار، فتقول النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وتقول الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم»[1]. فتغلق عليهم أبواب جهنم بإحكام، حيث يرى الأعمدة الممددة تُحكِم إغلاقها ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ زيادة في العذاب النفسي، فلا يرى حوله إلا الحوائط ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ حوائطها. وإذا ما استغاث بالماء ليخفف من حرارة الهول يغاث ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ كالزيت الذي اشتد غليانه، إذا ما قربه إلى فمه ليرتشف منه انشوت جلدة وجهه فتساقطت ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾. والمرء يحشر مع من أحب بلا اختيار منه يوم القيامة، فهل تحب أن تحشر معهم؟

وفي المقابل هؤلاء أهل الإيمان في الدنيا سواءً كانوا فقراء أم ضعفاء أم غيرهم فإنهم يُستقبلون يوم القيامة استقبالاً حافلاً فتتلقاهم الملائكة، وتهوّن عليهم، ويجعل لهم منابر من نور في ظل عرش الرحمن، ويشربون من حوض النبي ﷺ يسقيهم، ويستقبلون استقبال الوفود استقبال الملوك ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ۝٨٥﴾، ألا تحب أن تحشر مع هؤلاء؟

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، مسلم (٢٨٤٦).

﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾

فالجزاء في الآخرة متوافق مع عملك الدنيوي حيث كنت ترتع في رياض الذكر والدعوة والعبادة، وكذلك في الآخرة في رياض ورحاب الرحمن. فيرشدون إلى الجنة، وتعرّفهم الملائكة بأماكنهم ومواضعهم، وتسلم عليهم من كل ناحية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾. إذ لم يقل المولى [من تحتها] وإنما قال: ﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾ للدلالة على اجتماعهم في موضع واحد في الجنة يتزاورون على ضفاف الأنهار كما اجتمعوا وتزاوروا في الدنيا، إذ قدموا مجالسة أهل الإيمان من الضعفاء والفقراء على مجالسة أهل الفسق والفجور من الطبقة المخملية.

﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾

وقال تعالى: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ ولم يقل سبحانه: [أساور من فضة] إذ أنهم بعد فقرهم وصبرهم على مجالس الفقراء والمساكين وتفضيلهم إياها على مجالس الأغنياء أصحاب الثروات والذهب والغنى والتجارات والأموال وأنواع الحلي النفيسة فازوا في

الآخرة بأنفس الأموال والحلي ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ وأنفس اللباس وهو من الحرير بجميع أنواعه الرقيق والغليظ ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾. ولأن تعلق القلوب بالذهب أكثر من تعلقها بالحرير قدم ذكر الذهب على الحرير.

﴿ يُحَلَّوْنَ ﴾

ولزيادة الكرامة لهم يوم القيامة أن يحلوا بالحلي من قبل غيرهم كما يحلي الحبيب حبيبه بأنواع الحلي، لا أن يُحلُّوا أنفسهم بأنفسهم كالعادة؛ قال النيسابوري: «لأهل الجنة لباسان؛ لباس التحلي ولباس الستر، فلم يسم الفاعل للتعظيم وهو الله جل وعلا، أو الملائكة بإذنه»[١].

ولجمال الذهب على الجلد الأبيض أعظم من جماله على الثياب قدم على ذكر الثياب، لئلا يفهم أن الذهب على الثوب بل على الجلد ليزداد جمالاً. وهذا يختلف عن الفضة التي جمالها على الثوب أعظم؛ قال الريان: «إذا ذكرت الأساور قبل اللباس كانت ذهباً، وإذا ذكرت بعد اللباس كانت فضة. والحكمة فيه أن لون الفضة هو البياض وهو أحسن على الخضرة، والذهب لونه الحمرة؛ فتكون

(١) غرائب القرآن للنيسابوري (١٥ / ١٤٨) ونحوه للشهاب (٦ / ١٧٢).

الحمرة هي الأصل والخضرة طارئة عليها»[(١)].

فهذه الفتنة الثانية، وهي عدم ترك مجالس الذكر والعبادة التي يتزاحم عليها الضعفاء من أجل مجالس الفخر والخيلاء التي يتكالب عليها أغلب أهل الشرف والغنى. فإن نجا العبد منها تلقفته فتنة ثالثة:

٣- فتنة شهوة المال والولد والأتباع والنساء

كثيراً ما يصد المال صاحبه عن عبادة الله تعالى، فينشغل بماله عن أداء الواجبات، أو يبخل به عن أداء الحقوق، ويؤدي به إلى الكبر والغرور. وكذا يفعل الولد والنساء وكثرة الأتباع. ذكر الله تعالى قصة صاحب الجنتين الذي جمع الشهوات المذكورة فافتتن بكثرة المال والولد والنساء والأتباع، فقال للمؤمن الفقير: ﴿... أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾﴾، فذكّره المؤمن بنعم الله وآلائه عليه ونصحه بشكر الله عليها، فأعرض المفتون عن الذكرى فهلكت أمواله وتفرق الأتباع عنه ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، بينما احتسب المؤمن ما عند الله من الخير والنعيم وثبت على دينه، فهي العاقبة

(١) الروض الريان (١ / ٢٢٣)

الحقيقية ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾.

هذه القصة صورة مصغرة للحياة الدنيا ومآلها ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ﴾، فلا تصدنك هذه الشهوات عن طاعة الله تعالى ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾، حيث تأتي يوم القيامة صفر اليدين عارياً حافياً كما خرجت من رحم أمك ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ﴾، قد تخلى عنك المال والولد والزوجة. فإذا ما نجا من الفتنة الثالثة تعرضت له الفتنة الرابعة:

٤- فتنة الفخر بالنسب

الفخر بالنسب والطعن في أنساب الآخرين من الأمور التي تقطّع الأمة والجماعة الواحدة، وتؤدي إلى تأصيل العداوة بين أفرادها، بل إلى الاقتتال فيما بينهم وعدم الالتقاء، وهذا هو الذي يحلق الدين إذ قال النبي ﷺ: «إن فساد ذات البين هي الحالقة»(١)، لذا قال النبي ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت»(٢).

(١) رواه الترمذي (٢٥٠٩) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٦٧).

ثم فخر الشخص بنسبه وطعنه في نسب الآخرين يصده عن متابعته غيره كبراً وغروراً ولو كان محقاً. وهذه كانت فتنة إبليس الفخر بأصله الجني ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾، إذ تكبر على آدم قائلاً: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾، فاحتقر نبي الله آدم لأن أصله من طين، وفخر بأصله من النار متكبراً قائلاً لله تعالى: ﴿... ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾؟! فكان الفخر بأصله من أسباب كفر إبليس وتمرده على أوامر الله تعالى.

وهذا من أسباب تمرد كفار قريش على النبي ﷺ وكفرهم به ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾. وقال أبو جهل المخزومي: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه[1].

فإذا ما نجا العبد من فتنة الأصل تعرض لفتنة خامسة:

(١) رواه ابن إسحاق عن الزهري مرسلاً. تفسير ابن كثير ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

٥- فتنة العلم

الادعاء لنفسه بأنه أعلم الناس وأعلم أهل زمانه غالباً ما يؤدي به إلى ازدراء علم الآخرين، ورد الحق، وعدم الانتصاح بنصيحتهم، وعدم الإذعان لما عندهم من العلم وإن كان صواباً. وأحياناً يؤدي إلى التحاسد والتباغض بين العلماء ومن ثم إلى تمزق الأمة وتشتتها ثم إلى وهنها، ويؤدي بصاحبه إلى الغرور والحسد وفساد الخلق، لذا قال مالك بن دينار عن العلماء الحُسَّاد: «إني وجدتهم أشد تحاسداً من التيوس بعضها على بعض!»[١] أو يؤدي بصاحبه إلى أن يشتري بعلمه دنياه ويبيع آخرته كبلعام بن باعورا.

فقص الله تعالى علينا قصة موسى عليه السلام والخضر عليه السلام، وملخصها في الحديث النبوي أن موسى عليه السلام وقف خطيباً في بني إسرائيل فوعظهم وأبكاهم، فقام إليه رجل وقال: يا نبي الله! من أعلم الناس؟ فقال موسى عليه السلام: أنا[٢]. فعاتبه الله تعالى لماذا لم يرجع العلم إلى الله تعالى فيقول: الله أعلم. ثم بين له أنه يوجد من هو أعلم منه عند ملتقى البحرين. فالتقى به موسى وتواضع له حيث قال: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ﴾ بحذف ياء المتكلم ولم يقل:

(١) جامع بيان العلم ٤٤١.

(٢) رواه البخاري (٧٤، ٤٧٢٥).

«على أن تعلمني» بإثبات الياء.

وفي القصة تبين أنه قد غاب العلم عن نبي الله موسى في عدة أمور منها: قصة أصحاب السفينة والغلام وجدار القرية. وجميع هذه الحوادث قد حصلت لموسى عليه السلام في صورة مشابهة لها، وبالرغم من ذلك لم يتوصل موسى عليه السلام إلى مقاصد الخضر من أفعاله تلك بل أنكر عليه، ثم بين له الخضر المقاصد العظمى لأفعاله.

فإذا ما نجا العبد من فتنة العلم تعرضت له فتنة سادسة:

٦- فتنة المنصب

فالمنصب غالباً ما ينسي العبد ذكر الله تعالى إما لانشغاله به، أو لما يصيبه من الغرور والطغيان ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾، أو لخشية زوال المنصب فيراقب مرضاة الخلق ليعينوه على المحافظة عليه بدلاً من مراقبة الله تعالى. ذكر الله تعالى قصة أفضل الملوك الصالحين من غير الأنبياء وهو ذو القرنين الذي ملك مغرب الأرض فابتلاه الله تعالى اختباراً إذ جعل له مطلق الحرية في التصرف بأهل تلك البلاد فنجح في الاختبار قائلاً: ﴿... أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾. ثم ملكه الله تعالى مشرق الشمس،

ثم ما بينهما، فأعان أهل تلك البلاد على التخلص من فساد يأجوج ومأجوج. واستمر في طاعة الله تعالى ولم يغره المنصب ولم يضله ويطغه، بل قال: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ وقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾، واستخدم المنصب في نشر الدعوة وشكر الله تعالى والإصلاح في الأرض والقضاء على الفساد.

فهذه جميع أنواع الفتن التي يتعرض لها العبد في دنياه إلى قيام الساعة ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾، ثم مصير من غرق في تلك الفتن ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾، بينما مصير من آمن ولفظ الفتن واستعان بالله تعالى عليها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾.

وجماع ذلك أن يحرص على أمرين اثنين للفوز في الدنيا والآخرة: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ عمل صالح بدلاً من الانزلاق في الفتن، مخلصاً فيه يبتغي به وجه الله تعالى.

ثانياً: فتنة الدجال

فتنة الدجال من أعظم الفتن، كما قال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال، وإن الله ﷻ لم يبعث نبياً إلا حذر أمته من الدجال»[(١)].

بل تجتمع فيه كل أنواع الفتن الست:

١- فتنة القهر والظلم

إذ يقدم الدجال على تعذيب من لم يتبعه ليجبره على الإيمان به. روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي [الدجال] وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب (مداخل) المدينة. فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل من المؤمنين هو خير الناس أو من خير الناس، فتلقاه المسالح: مسالح الدجال (قسم المراقبة من جيش الدجال) فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) وابن أبي عاصم (٤٠٠)، وصححه الحاكم (٤/٥٣٦-٥٣٧) والألباني (رسالة في قصة المسيح الدجال [٤١-٤٩]).

هذا الذي خرج. فيقولون له: أوَما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون له: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم (الدجال) أن تقتلوا أحداً دونه؟ فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس، هذا المسيح الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه. فيأمر به الدجال فيشبح (يمد على بطنه)، فيقول: خذوه وشجوه (اضربوه ضرباً يجرحه ويشق جلده)، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، فيقول: أوما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب. فيؤمر به، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون له: لا. فيؤمر به، فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم. فيستوي قائماً. ثم يقول: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. ثم يقول (الشاب): يا أيها الناس، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. فيأخذه الدجال ليذبحه فَيُجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً، فيأخذ (الدجال) بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»(١).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٨).

٢- فتنة حب الانتساب إلى أهل الشرف

حيث يسيطر الدجال على الأرض بسرعة ويملكها إلا مكة والمدينة، ويتبعه أكثر أهل الأرض ويعبدونه، ويملك كنوز الأرض، فيرى أهل الباطل العزة بالانتساب إليه ومتابعته.

مما يدل على سيطرته على الأرض وانتصاره عليها ما رواه أبو أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه، وظهر عليه، إلا مكة والمدينة»(١) ظهر عليه: أي انتصر عليه.

ومما يدل على سرعة الانتصارات قوله ﷺ: «كالغيث استدبرته الريح»(٢).

ومما يدل على **كثرة أتباعه** ما رواه أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة»(٣)، وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ينزل الدجال في هذه السبخة بمر قناة (واد في طرف المدينة) فيكون أكثر من يخرج إليه النساء،

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) وصححه الألباني (رسالة في الدجال [٤٣، ٨٢-٨٧])، ونحوه عند مسلم (٢٩٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٤).

حتى إن الرجل يرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه»(١)، وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سمع بالدجال فلينأ عنه (ليبتعد عنه) فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث من الشبهات»(٢).

أما ملكه كنوز الأرض فقد روى النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن الدجال: «ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل»(٣).

كيعاسيب النحل: كحال اجتماع ذكور النحل عند محاولتها تلقيح الملكة.

وبعض أوامره جارية على السماء والأرض بمشيئة الله تعالى فقد قال ﷺ عنه: «فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت»(٤) هذا لمن أطاعه، أما من كفر به فإنه «ينصرف عنهم فيصبحون ممحلين. ليس

(١) رواه أحمد (٦٧/٢)، صححه أحمد شاكر (١٩٠/٧).
(٢) رواه أبو داود (٤٣١٩) وصححه الحاكم (٥٣١/٤) والألباني في المشكاة (٥٤٨٨) ورسالة في الدجال (٣٣).
(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧).
(٤) رواه مسلم (٢٩٣٧).

بأمرهم شيء من أموالهم»[١]. ممحلين: أي انقطعت عنهم الأمطار ويبست أراضيهم.

٣- فتنة المال والشهوات

يرغّب الدجال من تابعه بالمال وبتمليكه كنوز الأرض، بينما يحذر من خالفه وأعرض عنه بالفقر والقحط. فقد روى النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن الدجال: «يأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرىً (أعلاهم سناماً) وأسبغهم ضروعاً (أطولهم ضروعاً لكثرة اللبن) وأمده خواصر (لامتلاء الخواصر من الشبع)، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين (مجدبين قد قحطوا) ليس بأمرهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل»[٢] جماعات النحل.

٤- فتنة الأصل والنسب

ومن فتنة الدجال أن يغري الإنسان بنسبه، وأن أصلك ونسبك -وهما والداك- يأمرانك باتباعه، فقد روى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه أن

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

رسول الله ﷺ قال عن الدجال: «وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطان في صورة أبيه وأمه. فيقولان: يا بني اتبعه، فإنه ربك»[1].

٥- فتنة العلم

حيث يتميز الدجال بالعلم الواسع، من ذلك:

* **معرفة مواضع الموارد المالية والاقتصادية** فيستخرجها من الأرض التي لا يتوقع وجودها فيها. قال ﷺ: «ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل»[2].

* **العلوم المتقدمة** كالعلوم التي تطور وسائل النقل حيث يتنقل بتقنيات عالية متطورة سريعة فقد قال ﷺ عن حركته وسرعة انتقاله على وجه الأرض: «كالغيث استدبرته الريح»[3].

* **العلوم العسكرية** حيث يتميز بمعرفة العلوم الحربية والخطط

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) وابن أبي عاصم (٤٠٠) وصححه الألباني؛ رسالة في الدجال (٤٢، ٧٥-٧٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧).

للانتصارات المتوالية، فبالرغم من تطور العلم الحديث إلا أن خطط الدجال وانتصاراته تفوق الخطط الحديثة، لذا قال ﷺ: «لا يبقى شيء في الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتاً»[(١)].

* **قوة التلبيس في طرح الشبهات** لذا قال ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات»[(٢)].

٦- فتنة المنصب

وهو ظهور الدجال على الأرض وانتصاراته المتوالية على البلاد التي يطؤها فيصبح قوة ضاربة في الأرض يملك كثيراً من البلاد ويقودها؛ قال ﷺ: «لا يبقى شيء في الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة»[(٣)]، فيجعل على البلاد التي ظهر عليها ولاته وأمراءه مما يغري الناس لمتابعته للحصول على تلك المناصب.

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) وصححه الألباني (٤٣، ٨٢-٨٥).
(٢) رواه أبو داود (٤٣١٩) وصححه الحاكم (٤/٥٣١) والألباني (٣٣).
(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) وصححه الألباني.

ثالثاً: العلاقة بين سورة الكهف والعصمة من فتنة الدجال

تبين مما سبق أن سورة الكهف جمعت أنواع الفتن وكيف يتحصن العبد منها، وأن الدجال اجتمعت فيه الفتن الست المذكورة. فإذا ما قرأها المسلم كل جمعة فإنه يحصن نفسه من الافتتان به، وهكذا كل جمعة يبني صرحاً من عصمة الله تعالى له من فتنة الدجال، فإذا ما خرج الدجال وعرض متابعته والإيمان به على قارئ سورة الكهف فإنه لن يستجيب له، فإذا ما ضربه وشجه وهدده بإلقائه في ناره فإن لسان حال المسلم يقول له: كنت أقرأ سورة الكهف يوم الجمعة وقرأت فيها قصة أصحاب الكهف الذين لم يردهم القهر والظلم عن دينهم والحق الذي هم عليه، وأنا كذلك بإذن الله تعالى.

وإذا ما رغبه بالانتساب إليه وأنه الآن أكثر تابعاً وأنه يملك الأرض فإذا ما آمن به ازداد عزاً وشرفاً لأنه ينتسب إلى الدجال، رد عليه المؤمن بأنه كان يتحصن من هذه الفتنة بقراءة قوله تعالى:

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ من سورة الكهف كل جمعة.

وإذا ما رغبه بالمال الكثير وكثرة الحاشية والولد، رد عليه المؤمن بأنه كان يتحصن من هذه الفتن بقراءة قصة **صاحب الجنتين** من سورة الكهف كل جمعة، وأن هذا لا بقاء له، بل مآله إلى زوال وعذاب وعقوبة.

وإذا ما عرض عليه أن يحيي له أصله وهما والداه، وقد كذب وإنما شيطان يتمثل له في صورتيهما فيدعوانه إلى الإيمان بالدجال ويزعمان أنه ربه، رد عليه المؤمن بأنه كان يتحصن من فتنة الأصل والنسب أن تكون سبباً للضلال بقراءة قصة إبليس من سورة الكهف كل جمعة، وأن المصير إليها يودي به إلى نار جهنم وبئس المصير.

وإذا ما عرض عليه تزويده بالعلم الحديث والتقنيات المتطورة ومعرفة علومها وغير ذلك من العلوم، رد عليه بأنه كان يتحصن من هذه الفتنة بقراءة قصة موسى عليه السلام والخضر عليه السلام من سورة الكهف، وأن العلم النافع هو العلم الذي يزيد من عبودية العبد لله تعالى ويؤدي إلى إصلاح أهل الأرض والقضاء على الفساد.

وإذا ما عرض عليه المنصب وتولي الولايات والإمارة للبلاد التي

ملكها الدجال مقابل الإيمان به، رد عليه بأنه كان يتحصن من أن يكون المنصب سبباً للضلال بقراءة قصة ذي القرنين الذي ما افتتن بمنصبه بل استعمله في طاعة الله تعالى فبارك الله له فيه.

وهكذا يتحصن من كل فتن الدجال بإذن الله تعالى بقراءته سورة الكهف كل جمعة فلا تغيب عن ذهنه. ولذا يحرص الدجال في نهاية الأمر على قتله قتلاً نهائياً فلا يسلط عليه، وإذا ألقاه في ناره فإنها الجنة كما قال النبي ﷺ في حديث حذيفة رضي الله عنه عن الدجال: «معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج. فإما أدْركَنَّ أحدٌ فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد»[1]. وفي رواية أخرى: «معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار»[2].

* * *

(١) رواه مسلم (٢٩٣٤).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٤).

المبحث الثالث
لماذا يوم الجمعة؟

ما الحكمة من قراءة سورة الكهف يوم الجمعة؟

في الأثر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[(١)]. أي مسيرة ما بين الجمعتين، فيضاء له من النور يوم القيامة مسافة ما يقطعه الراكب في أسبوع كامل؛ فما الحكمة؟

إن قراءة سورة الكهف تعصم من فتنة الدجال، وإن خروج الدجال من العلامات الكبرى لقيام الساعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات» فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج

---

(١) رواه سعيد بن منصور، وسيأتي تخريجه في المبحث الثامن بإذن الله تعالى.

من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[1].

والساعة تقوم يوم الجمعة. إذ روى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»[2].

وفي نهاية السورة ذكر الله تعالى قصة يأجوج ومأجوج الذين هم من علامات الساعة الكبرى كما في الحديث، وبين الله تعالى فيها أنهم يخرجون في نهاية الدنيا فقال الله تعالى بعد بناء سدهم: ﴿... هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾.

فالمناسبة ظاهرة بين قراءة سورة الكهف والعصمة من فتنة الدجال الذي هو من علامات الساعة الكبرى التي تقوم يوم الجمعة ويسبقها خروج يأجوج ومأجوج.

* * *

(١) رواه مسلم (٢٩٠١).

(٢) رواه مسلم (٨٥٤) وصححه الترمذي (٤٨٨) والحاكم (٢٧٨/١).

المبحث الرابع
النور وقراءة سورة الكهف

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»[1].

ما العلاقة بين قراءة سورة الكهف والنور يوم القيامة؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها (أحبها وسارع إليها واستجاب لها) نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض. والآخر أسود مُرْبادّا (مغبرّاً) كالكوز مُجخِّياً (منكساً) لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»[2].

فإذا ما أنكر القلب الفتن التي يفتن بها من قهر وظلم وحب الانتساب إلى أهل الشرف والشهوات والمعاصي من مال ونساء

(١) رواه سعيد بن منصور، سيأتي تخريجه في المبحث الثامن بإذن الله تعالى.

(٢) رواه مسلم (١٤٤).

وولد وأتباع والفخر والخيلاء بنسبه والتعالي بعلمه وفتنة المنصب فإن القلب يُضاء فيه النور، فيصبح «أبيض كالصفا»، فينعكس ذلك على وجهه كما قال تعالى في هذا الصنف: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾. قال العلماء: مثل نوره في قلب العبد المؤمن كمشكاة فيها مصباح. ووصف الله تعالى هذا النور بأنه مكون من ثلاثة أنوار:

١- **نور الزجاجة:** ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ كأنها كوكب يتلألأ إضاءة ونوراً، والزجاجة هي واجهة المصباح وهي وجه المؤمن وجوارحه.

٢- **نور الزيت:** ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ وهو وقود المؤمن، أي إيمانه وتقواه وعبودية قلبه لله تعالى ومحبته وخضوعه واستسلام قلبه لمولاه.

٣- **نور المصباح:** ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ نور قلبه هو مصباحه.

فاجتمعت فيه الأنوار الإلهية الثلاثة ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ

مَن يَشَآءُ﴾.

بينما المعاصي تسوِّد القلب والوجه «أسود مربادّا»، وتجعله مظلماً بسبب ظلمة القلب الذي امتلأ بظلمات المعاصي ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

قال أحد الصالحين: ذهبت إلى عثمان بن عفان، وفي الطريق رأيت جارية فأعجبتني، فنظرت إليها وأطلت النظر ثم دخلت على عثمان فقال: يدخل عليّ أحدكم والزنا في عينيه.

فقلت: سبحان الله، هل أنزل الوحي على أحد بعد رسول الله ﷺ.

فقال: لا، ولكن فراسة صادقة. إذ رأى في وجهه ظلمة لم يكن رآها من قبل.

فالعبد المؤمن الذي تمسك بأوامر الله تعالى واجتنب نواهيه ونجا من الفتن ولفظها قلبه فإن الله تعالى يكرمه بنور القلب والوجه في الدنيا وبنور في القبر، ثم بالنور الذي يعطاه عن يمينه

يوم القيامة في أرض المحشر فيضيء له طريقه في أرض حالكة الظلام ليجوز به على الصراط ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، وينطفئ حينئذ نور المنافقين فيستغيث المؤمنون بربهم ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ ويختلف المؤمنون في أنوارهم «فيعطون على قدر أعمالهم:

فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه

ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك

ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه

ومنهم من يعطى نوره دون ذلك بيمينه

وآخر من يعطى نوره على قدر إبهام قدمه يضئ مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا أطفئ قام»[1].

(١) رواه الحاكم (٣٧٦/٢) (٥٩٠/٤-٥٩٢) والطبراني في الكبير (٤١٦/٩-٤٢١) ح (٩٧١٣) وصححه ابن حجر في المطالب (٣٦٥/٤-٣٦٧) والمنذري في الترغيب (٤/ ٢٤٦-٢٤٨) والألباني في الطحاوية (٤١٥).

ثم يقال لهم: امضوا على قدر نوركم.

فمنهم من يمر كطرف العين وكالبرق

ومنهم كانقضاض الكوكب

ومنهم من يمر كالريح

ومنهم كمر الطير

ومنهم كأجاويد الخيل والركاب

ومنهم كشد الرجال (يرمل رملاً).

ومنهم كمشيهم

ومنهم من لا يستطيع إلا زحفاً

حتى يمر آخرهم يسحب سحباً، ويتلبط على بطنه تخرّ يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار(١).

أما قارئ سورة الكهف فإنه يعطى نوراً طوله كطول المسافة المقطوعة على ظهر الخيل الجواد المسرع من الجمعة إلى

(١) انظر تخريج الحديث السابق وحديث مسلم (١٨٣).

الجمعة، أي مدة جريه أسبوع كامل وهي المسافة من المدينة إلى مكة؛ لذا قال في الرواية الأخرى: «ما بينه وبين البيت العتيق»[١]. والكلام صادر في المدينة، فبقدر طول هذه المسافة المقطوعة يعطى قارئ سورة الكهف نوراً يضيء له ويسير به على الصراط المضروب على ظهر جهنم وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف. فباجتناب الفتن الست المذكورة في السورة يكرمه الله تعالى بنور القلب وصفائه وبياضه فيجتنب فتن الدجال الست، ويعطى نوراً يوم القيامة طوله مسيرة أسبوع كامل.

(١) رواه سعيد بن منصور.

المبحث الخامس
مناسبتها لسورة الإسراء

مقصد سورة الإسراء الخصائص التي يخص الله بها الدعاة إلى دعوته لاسيما الرسل، ولكن هذه الخصائص لا تنال إلا بالابتلاءات وطريق تعترضه الفتن. فأتت سورة الكهف بعدها وهي سورة الفتن التي تعترض الداعي إلى الله تعالى.

ومناسبة أخرى أن سورة الإسراء استهلت بالتسبيح ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ فتلاها الحمد الذي استهلت به سورة الكهف ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾، والتسبيح غالباً يتلوه الحمد، فتقول: سبحان الله والحمد لله.

واستهلت الإسراء بتشريف النبي ﷺ بمقام العبودية ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ وكذا استهلت الكهف ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

بينما ختمت الإسراء بالحمد ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ واستهلت الكهف ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾.

وختمت بتنزيه الله تعالى عن الولد ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلۡمُلۡكِ﴾ وكذا ابتدأت الكهف بتنزيه الله تعالى عن الولد والشريك ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾.

وختمت الإسراء بذكر وعد الآخرة ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا﴾ وختمت الكهف كذلك ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّى حَقًّا﴾ ثم قال سبحانه ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا﴾.

المبحث السادس
مناسبتها لسورة مريم

إن مقصد سورة الكهف بيان جميع الفتن الست التي يتعرض لها العبد في حياته لتصده عن دين الله، وكيفية تخطيها وثوابها، تليها سورة مريم التي مقصدها البشارات الإلهية التي يرسلها الله تعالى لعباده في خضم تعرضه للفتن وصبره لوجه الله تعالى فتلوح له البشارات بين فترة وأخرى، وتكفكف دمعه، وتربت على ظهره لتخفف آلامه بين فترة وأخرى إلى أن يأتي نصر الله تعالى والفرج.

ومن المناسبة بينهما أنه ورد في أول الكهف ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾، وورد في أول سورة مريم بعد قصة نبي الله زكريا عليه السلام قصة نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾ وفي خاتمة السورة ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾﴾ وبعدها: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾.

وفي أول الكهف قصة أصحاب الكهف ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ والأعجب منها قصة يحيى

عليه السلام والذي استهلت به سورة مريم والذي ولد من امرأة عاقر، والأعجب منهما قصة نبي الله عيسى عليه السلام الذي ولد من أم دون أن يمسها رجل.

ومن المناسبة بينهما أن ختمت سورة الكهف بقول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، فمن رام أفضل المرام وأسماها وهو النظر إلى الله تعالى عند لقائه فعليه بالعمل الصالح الذي شرعه الله تعالى وأحبه، والإخلاص فيه لله تعالى «أخلصه وأصوبه». فاستهلت سورة مريم بقصة نبي الله زكريا عليه السلام الذي عمل عملاً صالحاً بأن دعا الله تعالى ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ في جوف الليل حيث لا يراه ولا يسمعه إلا الله تعالى فكان دعاءً خالصاً ﴿... نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ ثم قال ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾. فكانت قصة نبي الله زكريا عليه السلام تطبيقاً عملياً لخاتمة سورة الكهف فنال ما يصبو إليه بما لا يتوقعه.

ومن المناسبة أن ختمت الكهف ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وورد في نهايات مريم ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾.

المبحث السابع
من لطائف سورة الكهف

١- الحكمة من تسلسل القصص

ما حكمة تسلسل القصص بالترتيب المذكور: بدأت بقصة الكهف ثم قصة صاحب الجنتين ثم إبليس ثم موسى عليه السلام والخضر عليه السلام ثم قصة ذي القرنين؟

لِمَ لَمْ تتسلسل بترتيب آخر؟

إن في تسلسل القصص في السورة إشارة وتنبيهاً لما سيحدث للنبي ﷺ؛ قال د. أحمد حسن فرحات: «قصة أصحاب الكهف تشير إلى خروج النبي ﷺ مهاجرًا من بلده مكة فراراً بدينه، ثم تحصل له عدة أمور ظاهرها شر وحقيقتها خير كثير ومصلحة كبرى والإشارة إليها بقصة موسى عليه السلام، ثم سيفتح الله تعالى الدنيا للنبي ﷺ والأمة والإشارة إليه بقصة ذي القرنين؛ إذ ستملك

هذه الأمة المشرق والمغرب»[1].

ولزيادة البيان:

أولاً:

بدأت السورة بقصة أصحاب الكهف الذين خرجوا من بلادهم وهاجروا فراراً بدينهم، فهذا ما سيحصل لك يا رسول الله. إذ ستخرج من مكة مهاجراً فارّاً بدينك، وستأوي أنت وأصدق أصحابك وأخلصهم إلى كهف- وهو غار ثور - كما أوى الفتية إلى الكهف.

وهم مكثوا ثلاث مائة سنة شمسية، بينما أنت تمكث ثلاث ليال شمسية كما في رواية البخاري، وينجيك الله تعالى من الكفار كما نجاهم لتصبح سراجاً منيراً للدنيا، نوراً للعالمين، هادياً للبشر ﴿... إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾، فيكون لك دور كبير في إصلاح البشر أكبر من دور أصحاب الكهف في هداية أهل مدينتهم وتيقنهم من البعث وقيام الساعة حين دب

---

(١) ذكرها فضيلته في محاضرة له عندما كنت طالباً عنده في مادة علوم القرآن.

الخلاف بينهم في شأنها، فبعد أن رأوا أصحاب الكهف وأنهم بعثوا بعد ثلاث مائة سنة آمنوا بالبعث ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾.

ثم تبني بيدك الشريفة وبمشاركة أصحابك مسجداً عظيماً، يؤسس على التقوى بعد خروجك من الكهف أعظم من المسجد الذي بناه أهل المدينة على قبرهم لغلبة أهل الجهل حيث لا يجوز بناء المسجد على القبر ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾.

أما عدد المهاجرين ممن تابعك وآمن لك فهو عدد كبير، ولو أضيف إليهم من آمن قبل الهجرة من الأنصار وغيرهم لزاد العدد، فسيكون عدد أتباعك كبيراً قبل هجرتك، ولعله يدل عليه عدد مؤمني أصحاب الكهف السبعة الذين آمنوا ثم هاجروا. إذ العدد «سبعة» يدل على الكمال والتمام في الكثرة والقوة إذ خلق الله كلاً من السماوات والأرضين سبعاً لبيان كمال عظمة الخالق، وأشواط الطواف والسعي سبعاً لإظهار كمال الحب والذل لله تعالى، والجمار سبعاً لإظهار تمام التخلص من حظوظ الشيطان القلبية، وخلق الإنسان من سبع لبيان كمال خلقه، وسجوده على سبع لتمام الذل، والأيمان سبعاً، والمثاني السبع، والسبع الطوال، والفاتحة سبع آيات، وعذاب قوم

عاد عندما تحدوا نبيهم فقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ عذبوا ﴿سَبْعَ لَيَالٍ﴾، وأبواب جهنم سبع أعاذنا الله منها، ومن أجل ذلك سمي الحيوان المفترس سبعاً لشدته وقوته، وقال الراغب: وقيل سمي السَّبُع بذلك لتمام قوته وذلك أن السَّبْع من الأعداد التامة. ا.هـ

وإذا رافق أصحاب الكهف كلب عند باب الغار فقد هيأ الله تعالى من هو أجّل لتأمين الهجرة للنبي ﷺ سواء من الكفار أو من المسلمين كعبد الله بن أبي بكر وكان كافراً حينذاك، ثم من هو أفضل منه وهي أسماء بنت أبي بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة، ثم الدليل وهو من بني الدّيل كلهم لتأمين جانب النبي ﷺ وأبي بكر، ثم قول النبي ﷺ لأبي بكر: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[1].

ثانياً:

لازم أتباعك وإن كانوا من ضعفاء الناس فهم أتباع الرسل، ولا تركن إلى أهل الغنى والشرف من الكفار ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾، وهاجر معهم والزمهم فهم أصل دولتك الجديدة فإن الله سيبارك للدعوة بدعائهم «هل تنصرون

(١) رواه البخاري (٤٦٦٣).

وترزقون إلا بضعفائكم»[1]. وهذا الذي فعله ﷺ إذ جعل المهاجرين هم أصل دولة الإسلام وأساس الجيش للجهاد خارج المدينة، أما الأنصار فكانت بيعتهم للنبي ﷺ للدفاع عنه داخل حدود المدينة.

ثالثاً:

إذا انتقلتم إلى البلد الجديد لتقيموا فيه دولة الإسلام لا تشغلكم الشهوات الدنيوية من مال وولد وأتباع ونساء عن الجهاد والدعوة والعبادة، ولا تركنوا إليها، وبالأخص الركون إلى زراعة البساتين لأنها تجعل صاحبها يحب الدعة والراحة ويكره الجهاد ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾. وقد التزم النبي ﷺ بذلك، إذ لم يرض أن يكون للمهاجرين مزارع وبساتين يركنون إليها وإنما هي للأنصار أعاروها للمهاجرين، فعن ابن مسعود رضي الله عنه وهو من المهاجرين الأولين قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا»[2] ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾، إلى أن مكن الله تعالى للدولة الإسلامية بعد الحديبية

(١) رواه البخاري (٢٨٩٦).

(٢) رواه الترمذي (٥٦٥)، وصححه الحاكم (٤/٣٢٢) والألباني في السلسلة الصحيحة (١٢).

ففتح على المهاجرين فردوا العارية للأنصار.

رابعاً:

إياكم ودعوى الجاهلية من عصبية قبلية وهي عصبية الأنساب لاسيما بين المهاجرين والأنصار، لأنها تمزق الأمة الإسلامية والدولة الجديدة، وقد كادت تعصف بدولة الإسلام لولا لطف الله تعالى. ففي غزوة المريسيع حدث خلاف بين مهاجري وأنصاري. فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة»(١). وبعد الغزوة مباشرة حدث خلاف بين سيد الأوس وسيد الخزرج، فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا(٢). لذا ذكر الله تعالى قصة إبليس الذي فخر بأصله الجني عن السجود لآدم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾. فإياكم وهذه الدعوى المنتنة.

(١) رواه البخاري (٤٩٠٥).

(٢) رواه البخاري (٤١٤١).

خامساً:

ستحصل لكم أمور عظام من خرقٍ للصف وقتل للنفوس ولؤم والتي ظاهرها مفسدة ولكن حقيقتها مصلحة عظمى للدعوة ودولة الإسلام، فاصبر واستعن بالله وتوكل عليه حتى تجني من ورائها المصالح الكبرى.

ومما حدث من خرقٍ لوحدة الصف الإيماني اختراق المنافقين للمجموعة المؤمنة بعد غزوة بدر، إذ أظهروا الإسلام فتخللوا بين صفوف المؤمنين، ثم سعوا في خرق صفوف المسلمين في الحروب، إذ انسحبوا من الجيش ومن الصفوف بعد الاستعداد التام للقتال فسعوا للانسحاب بثلث الجيش في غزوة أحد، وكذلك فعلوا في الخندق فقالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ فانسحبوا من أرض المعركة، فخرقوا الصف الإسلامي.

وكذا سعوا في خرق الصّف في اتهام زوج سيِّد البشر في حادثة الإفك لتمزيق المسلمين، وتشتيتهم وتفريقهم على نبيهم ﷺ. فهذه الخروقات كادت تودي بدولة الإسلام لولا لطف الله تعالى ورعايته لهذه الأمة، ولكن كان فيها مصلحة عظمى وتربية كبرى لدعاة هذه الأمة حتى أصبحوا قادة للعالم بأسره، والإشارة

إليها بقصة خرق السفينة .

ثم سيحدث فيكم قتل وسفك للدماء فلا تجزعوا، ولكن عليكم أن تبحثوا عن المصالح الكبرى المخبوءة خلف ستار هذه المفسدة كما حصل لموسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام في قتل الغلام. وقد حصل هذا للمؤمنين في غزوة أحد وبعدها مباشرة في بئر معونة والرجيع، فقتل من المسلمين سبعون ثم سبعون ثم عشرة، فاستمر النبي ﷺ في الدعوة ولم يتضعضع؛ مهتدياً بوصية الله تعالى.

ثم ستجد اللؤم ممن وجب عليهم بذل الخير لكم، فاعف واصفح وأصلح، والإشارة إليه بقصة إصلاح الجدار في القرية اللئيمة التي لم تستضف موسى عليه السلام والخضر عليه السلام. وقد حصل ذلك للنبي ﷺ إذ قال ابن سلول سيد أهل المدينة في الجاهلية عن المهاجرين في غزوة المريسيع: ما نحن وهؤلاء إلا كما قال القائل: سمِّن كلبك يأكلك، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فلم يرض باستضافة أهل المدينة للنبي ﷺ والمهاجرين، وعزم على السعي لإخراجهم لؤماً وحسداً وكفراً. وبالرغم من ذلك أحسن إليه النبي ﷺ وعفا عنه، وعندما مات صلى عليه وبصق في فمه لعله يوفق في الإجابة على سؤال الملكين، وكفنه بقميصه لعله يكون حجاباً له عن النار.

وعندما أراد النبي ﷺ والصحابة أن يعتمروا عام الحديبية منعتهم قريش؛ ولا يحق لها منعهم، فهي لم تمنع أحداً من العمرة إلا النبي ﷺ والصحابة، وبالرغم من ذلك عفا النبي ﷺ عنهم في فتح مكة وأكرمهم وأصلح فيهم وجعل الأمة تبعاً لقريش فقال: «الناس تبع لقريش»[(١)]، وقال ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»[(٢)].

سادساً:

ثم سيفتح الله تعالى لك المشرق والمغرب وما بينهما كما **فتح لذي القرنين.** فانشر دين الله تعالى وأقم شريعة مولاك، واسع في مصالح الناس.

وهذا ما حصل للنبي ﷺ إذ جاءته القبائل من جميع أنحاء الجزيرة مبايعة له ﷺ، وأرسل الكتب إلى المشرق والمغرب يدعوهم إلى الله تعالى، فمنهم من أذعن له ودان ومنهم من مزق الرسالة النبوية فمزق الله ملكه: «إذا هلك كسرى فلا كسرى

(١) رواه البخاري (٣٤٩٥).

(٢) رواه البخاري (٣٥٠١).

بعده»[1]، وهابه قيصر أعظم ملوك الأرض في ذاك الوقت إذ أعلن أنه لو كان عند النبي ﷺ لتهيأ للقائه ولغسل قدميه الشريفتين، وعندما جهز النبي ﷺ جيشاً لقتاله هابه قيصر فرجع خائباً خائفاً من لقائه ﷺ في تبوك بالرغم من كون الروم في ذاك الوقت قوة ضاربة في الأرض قد توالت انتصاراتها على الفرس.

وصالحه ملوك المنطقة الشمالية والغربية كأكيدر دومة الجندل، وأرسل إليه المقوقس بالهدايا لاسترضائه. ثم أكمل المسيرة أصحابه الراشدون المهديون رضي الله عنهم ومن بعدهم، وصل ملك المسلمين إلى الصين مشرق الشمس، وإلى المحيط الأطلسي مغرب الشمس، بل إلى جبال البرانس في فرنسا وإلى أمريكا، وفي الشمال وصلوا إلى روسيا والبلقان.

كانت بداية الدعوة الفرار بالدين إلى الكهف الذي يخفيهم عن الشمس عند شروقها وغروبها حيث تميل يميناً عن باب الكهف فلا تدخله عند الشروق ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾، ولا تصيبهم عند غروبها مع نفاذ أشعتها إلى داخل الكهف، ولكنها تميل عن أجسادهم ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾. ثم في

(١) رواه البخاري (٣١٢٠).

نهاية الأمر خضع مشرق الشمس ومغربها لسلطان هذا الدين ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾.

فمن سلك هذا المنهج مخلصاً لله تعالى حاز قصب السبق وفاز بالتمتع بالنظر إلى وجه الله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

فكانت سورة الكهف ملخصة للمراحل التي ستمر بها الدعوة ودولة الإسلام، فلله الحمد أولاً وآخراً. والله أعلم.

* * *

٢- حوادث نبي الله موسى عليه السلام

ما الحكمة من حدوث هذه الحوادث لموسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام ولم تحدث حوادث أخرى بدلاً منها؟

توجد حكم كثيرة الله أعلم بها، ولعل من هذه الحكم التربية الإلهية لموسى عليه السلام في عزو العلم إلى الله تعالى .

ذلك: «أن موسى عليه السلام ذكّر الناس يوماً بأيام الله وآلائه ونعمائه وبلائه حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب قال رجل: أي رسول الله. أي الناس أعلم؟

فقال موسى عليه السلام: أنا .

فقال الرجل: هل في الأرض أحد أعلم منك؟

فقال موسى عليه السلام: لا.

فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه.

فأوحى الله إليه: إني أعلم بالخير عند من هو، وإن في الأرض

رجلاً عبداً هو أعلم منك، آتيته من العلم ما لم أوتك.

فقال موسى عليه السلام: أي رب فأين؟ فقيل له: بمجمع البحرين»[1].

فعندما التقى بالخضر عليه السلام أخذ طائر بمنقاره في البحر .

قال الخضر عليه السلام: ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر .

قال موسى للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾». فخضع موسى عليه السلام لله تعالى وأراد أن يتعلم ممن هو أعلم منه، ويكفر عما بدر منه في قوله «أنه هو أعلم الناس». وقد حدثت لموسى عليه السلام في السابق حوادث مشابهة ومقاربة لتلك التي حصلت له مع الخضر ومع ذلك لم يعلم ما وراء حوادث الخضر، ولم يربطها بالحوادث السابقة، ولم يفسرها بها. وذلك لزيادة التأكيد لموسى عليه السلام: كيف تقول أنا أعلم الخلق وقد حدثت لك حوادث سابقة مماثلة وعلمت ما وراءها من المصالح الكبيرة الناتجة منها ثم حدثت لك حوادث مقاربة ومشابهة مع الخضر فأنكرتها عليه؟ وكان بالإمكان أن تفسرها بما سبق لك!

(١) رواه البخاري (٤٧٢٥).

أما الحادثة الأولى فهي قصة السفينة التي يملكها المساكين وهم على ظهرها فأفسدها الخضر فأنكرتها عليه. وقد حدثت لك حادثة سابقة في السفينة عندما ألقت بك أمك وهي من بني إسرائيل المستضعفين الذين استضعفهم الملك الطاغية فرعون، فألقت بك في الصندوق وهي سفينتك وأنت على ظهرها وأنت من بني المستضعفين. فكان في عدم ربطها للصندوق سفينتك مفسدة ظاهرة لك ولها، ولكنها في حقيقة الأمر مصلحة كبرى لك حيث ألقت بك سفينتك إلى قصر فرعون، فتربيت في قصره وأصبحت قوياً مرموقاً محبوباً من قبل أهل مصر، يرعاك الله تعالى ثم الطاغية فرعون ثم أهل مصر كلها .

وكذلك في خرق سفينة المساكين مفسدة ظاهرة لهم، ولكن حقيقة الأمر فيه مصلحة كبرى لهم لئلا يأخذ سفينتهم الملك الطاغية، بل يشفق عليهم ويطلقها لهم.

أما الحادثة الثانية فهي قتل الغلام. فكيف تستنكر على الخضر قتله الغلام وقد حدثت لك حادثة مشابهة عندما قتلت القبطي فكان قتله في الظاهر مفسدة، ولكن كانت وراءه مصلحة عظمى مدخرة وهي لجوؤك إلى الشيخ الصالح في مدين وتزوجك من ابنته

ومكثت في ضيافته عشر سنوات تعلمت فيها أموراً تنفعك للرسالة، ثم مرورك بسيناء ونزول الرسالة عليك.

فكيف لم تتوصل إلى أن قتل الغلام وإن كان ظاهره شراً ولكن وراءه مصالح عظمى كما حدث لك وقد مهد لها الخضر في أول اللقاء بينك وبينه، ولكنك لم تصبر حتى استنكرت عليه. فكيف تدعي أنك أعلم الخلق ولم يخطر على قلبك ما وراء هذه الحادثة التي شابهت حادثة سابقة لك ؟!

أما الحادثة الثالثة فهي إصلاح جدار اليتيمين. فكيف تستنكر على الخضر إصلاح جدار في أطراف قرية اتصف أهلها باللؤم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ والذين بلغت شدة لؤمهم أن لم يراعوا يتمهما وصلاح أبيهما، مما اضطرهما إلى الخروج من السكن في أطراف تلك القرية الكبرى إلى السكن في مركزها؛ في المدينة ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾. قال البقاعي عن تسميتها بالقرية دون المدينة: «لأنه أدل على اللؤم»[1]. وقال الجمل عن ذكر القرية: «تحقيراً لها لخسة أهلها، أما عن ذكر المدينة فقال: «تعظيماً لها من حيث اشتمالها على هذين الغلامين

(١) نظم الدرر (٤/٤٩٤).

وعلى أبيهما»[١]. فمن لؤمهم أن لو سقط الجدار وظهر الكنز لأخذوه وغصبوه منهما؛ قال الشهاب: «ذكروا في قصة الجدار أن اليتيمين كانا غير عالمين بالكنز، ولهما وَصِيٌّ يعرفه، فلو سقط الجدار ربما ضاع الكنز»[٢].

وقد حدثت لك حادثة مشابهة عندما وصلت إلى مدين، إذ رأيت رجالاً اتصفوا باللؤم حيث لم يتقدم أحد منهم لمساعدة المرأتين الضعيفتين ولهما أب شيخ كبير صالح فتركوهما. بل هذا دأبهم يومياً معهما لا يسقون لهما، وإنما يتركونهما إلى أن ينتهوا من السقاء ثم تتقدم الفتاتان لتسقيا ولو تأخر الوقت عليهما، فلم يرأفوا بهما ولم يرحموا ضعفهما ولا ضعف أبيهما الشيخ الكبير.

فتقدمت أنت وسقيت لهما بلا أجر مع احتياجك له وهؤلاء الرجال ينظرون إليك ورأوك غريباً فلم يكرموك ولم يضيفوك، فلجأت إلى شجرة وألقيت بنفسك في ظلها قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ .

فلِم لم يخطر في ذهنك أن الخضر أقام الجدار لأناس ضعفاء

(١) حاشية الجمل على الجلالين (٤/٤٤٨).

(٢) حاشية الشهاب (٦/٢٢٣).

لهم أب صالح؟ وهذا الذي فعله الخضر إذ أقام الجدار ليتيمين ضعيفين مقابل تلك المرأتين الضعيفتين، ولليتيمين أب صالح متوفى وللمرأتين أب صالح حي، وأهل القرية الذين لم يضيفوكما صفتهم اللؤم وكذلك الرجال الذين لم يعينوا المرأتين ولم يضيفوك صفتهم اللؤم، ولم يطلب الخضر أجراً وأنت لم تطلب أجراً، فتشابهت الحوادث، وبالرغم من ذلك لم تتوصل إليها ثم تزعم أنك أعلم الخلق!

مع العلم أن هذه الحوادث مع الخضر أتت مرتبة كترتيب الحوادث التي حدثت لك في السابق: الصندوق في البحر وأنت صغير كالسفينة أولاً، ثم في المرحلة الثانية بعدما كبرت قتلت الفرعوني كقتل الغلام في المرحلة الثانية مع الخضر، ثم هروبك وإعانتك الفتاتين في المرحلة الثالثة كإعانة الغلامين في المرحلة الثالثة مع الخضر؛ ولم تستطع الاهتداء لما وراءها؟!

قال القرطبي: قيل في تفسير هذه الآيات التي وقعت لموسى مع الخضر إنها حجة على موسى وعتب عليه، وذلك أنه لما أنكر خرق السفينة نودي: يا موسى أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحاً في اليم؟! فلما أنكر من الغلام. قيل له: أين إنكارك هذا من وكزك للقبطي وقضائك عليه؟! فلما أنكر إقامة الجدار، نودي:

أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب دون أجر؟![1]

تنبيه: لا دليل على أن الشيخ الكبير في مدين هو النبي شعيب عليه السلام.

*   *   *

(١) تفسير القرطبي (١١/٣٣)، وذكر نحوه صاحب الروض الريان (١/٢٣٠).

٣- أردت، أردنا، أراد

قال الخضر عليه السلام في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فنسب الإعابة لنفسه، وفي قتل الغلام قال: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ بقتلنا له ﴿أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾؛ فنسب إرادة القتل لنفسه ولموسى عليه السلام، بينما إصلاح الجدار نسبه إلى الله تعالى بقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾؛ ما الحكمة؟

قال في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ لأن خرق السفينة كان أول فعل صدر من الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام، ولم يعلم الخضر هل سيفارقه موسى عليه السلام إذا لم يقبل بمثل هذه التصرفات أم سيستمر معه فقال: ﴿أَرَدتُّ﴾. فلما اعتذر موسى عليه السلام بالنسيان علم الخضر حينئذ أن موسى عليه السلام موافق له فيما صدر منه سابقاً وما سيصدر منه لاحقاً ولكن قد يغلب حسه الإيماني عندما يرى منكراً ظاهراً قبل أن ينتبه إلى أنه مع الخضر وأنه أعطاه عهداً بالصبر معه، فهو إذاً موافق له في حقيقة الأمر. لذا عندما قتل الغلام قتله مع موافقة موسى عليه السلام السابقة وموافقته اللاحقة التي قال فيها: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا

تُصَٰحِبۡنِيۖ﴾ فإن صدر مني استنكار مرة أخرى فهو ناتج عن نسيان كما صدر مني في المرة الأولى، فهو إذاً موافق له. فإذا تبين أنه موافق لقتله سابقاً ولاحقاً فهو إذاً مشارك له في القتل فقال: ﴿أَرَدۡنَآ﴾. زد على ذلك أن المتمالئ على القتل كالمباشر للقتل لعظم هذا الفعل كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ قتل نفراً خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال: «لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعاً»(١) فقال: ﴿أَرَدۡنَآ﴾. وفي كلا الحادثتين ظاهرهما شر فلم ينسبهما إلى الله تعالى أدباً وإن كان باطنهما خيراً. بينما قال في إصلاح الجدار الذي ظاهره خير وباطنه خير: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾، فنسب الخير كله لله تعالى. قال ابن جماعة: «هذا حسن أدب من الخضر مع الله تعالى؛ أما في الأول فإنه لما كان عيباً نسبه إلى نفسه فقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾، وأما الثالث: فكان خيراً محضاً ليس فيه ما ينكر لا عقلاً ولا شرعاً نسبه إلى الله وحده فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾»(٢).

فلسان حال الخضر عليه السلام يقول لموسى عليه السلام: وهكذا يا موسى!

---

(١) رواه الإمام مالك باب: ما جاء في الغيلة والسحر، ورواه البخاري في صحيحه مذاكرة قبل حديث (٦٥٠١).

(٢) كشف المعاني (٢٤٩)، وذكر نحوه في فتح الرحمن (٣٤٦)، والروض الريان (١/٢٢٩)، والجمل (٤/٤٥٠)، والنسيابوري (١٦/١٤).

عليك أن تنتقي أفضل الكلمات وأحسنها لأنك تتعامل مع الله تعالى. فكل ما جرى بين موسى والخضر عليهما السلام تربية إلهية لموسى عليه السلام عندما قال: أنا أعلم، ولم يرد العلم إلى الله تعالى.

* * *

٤- تعلمني وتعلمنِ

قال موسى عليه السلام للخضر: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾. فقال له: ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ بحذف الياء، ولم يقل له **تعلمني**. ما الحكمة من حذفها في هذه القراءة؟

أصل الكلمة **تعلمني**، تتكون من ثلاثة مقاطع **تعلم** و **النون** و **ياء** المتكلم (تعلم، ن، ي) أي تعلمني أنا، فهي تمثل نفسي وحياتي أنا. فحذفت **ياء** المتكلم، وبقيت **النون** فقط وهي نون الوقاية والعماد وهي بدل التنوين في الأسماء. فحذف ما يدل على المتكلم مكتفياً بالكسرة الدالة عليه فقال: ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ أي لا أستطيع أن أؤكد لك أن العلم يصل إليَّ وإن بذلت أيها المعلم الجهد لإيصاله إليّ. فلسان حاله يخاطب المعلم ويقول له: لن يصل العلم إلى نفسي وإن بذلت جهدك لتعليمي!

وذلك: «أن موسى عليه السلام ذكر الناس يوماً بأيام الله وآلائه ونعمائه وبلائه حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب، قال رجل: أي رسول الله، أي الناس أعلم؟

فقال موسى عليه السلام: أنا .

فقال الرجل: هل في الأرض أحد أعلم منك؟

فقال موسى عليه السلام: لا.

فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله.

فأوحى الله إليه: إني أعلم بالخير عند من هو. وإن في الأرض رجلاً عبداً هو أعلم منك، آتيته من العلم ما لم أوتك .

فقال موسى عليه السلام: أي رب فأين؟

فقيل له: بمجمع البحرين».

فعندما التقى بالخضر أخذ طائر بمنقاره في البحر .

«قال الخضر: ما علمي وما علمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر»[١].

قال موسى للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾. وهذا صدر من موسى عليه السلام زيادة في التلطف[٢] وهذه الزيادة في

(١) رواه البخاري (٤٧٢٦).

(٢) البقاعي (٤/٤٩١).

التلطف من وجهين: أما الوجه الأول فهي أن آخذ منك شيئاً قليلاً من علمك لا كُلّه ولا جُلّه ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ .

وأما الوجه الثاني فهو تلطف مع غاية التواضع من نبي الله تعالى في طلب العلم؛ قال البيضاوي: وقد راعى موسى في ذلك غاية التواضع والأدب فاستجهل نفسه، واستأذن أن يكون تابعاً له(١). ومن المعلوم بأن نبي الله موسى عليه السلام في عهده كان أعلم البشر بالله تعالى وبشريعته، فاستجهال النفس من قبل عالم أمر شاق.

قال الجمل: اعلم أن المتعلم الذي حصّل العلوم الكثيرة ومارس الاستدلال والاعتراض ثم إنه يريد أن يخالط إنساناً أكمل منه ليبلغ درجة الكمال فالتعلم في حق هذا القسم شاق شديد، لأنه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً فربما يكون ذلك منكراً بحسب الظاهر إلا أنه في الحقيقة صواب وحق(٢).

إن لسان حال موسى عليه السلام يقول للخضر: أنت سوف تبذل مجهوداً كاملاً في تعليمي، أما أنا فلن أحصل على جميع المعلومات التي تحاول تعليمي إياها والتي ستبذلها لي وذلك

(١) تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب (٢٠٦/٦).
(٢) حاشية الجمل على الجلالين (٤٤١/٤).

لضعفي، فأنا لست أعلم الخلق؛ هذا الوجه الثاني. وهذا غاية التواضع، ومن كمال عبوديته لله تعالى وإذعانه له، فكيف لم أعزُ العلم إلى الله تعالى فأقول: الله أعلم! فربما أيها المعلم لن يصل إليَّ كل ما تبذله لي من علم؛ فقال ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ ولم يقل **تعلمني**.

❊ ❊ ❊

٥- ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾

عندما أنكر موسى عليه السلام على الخضر عليه السلام بشدة في المرة الأولى فقال: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي عظيماً! تلطف معه الخضر فقال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فلم يقل [ألم أقل لك] لأنها المرة الأولى، فلم يرد إحراجه. ففي حذف [لك] شيء من المسامحة والتلطف، ولعل فيها شيئاً من الابتسامة والتذكير بالاتفاق .

ويحتمل أنه لم يخاطب بها موسى عليه السلام، ولكن الخضر خاطب نفسه بها كما خاطب نبي الله يوسف عليه السلام نفسه في قصة سرقة الصواع فقال سراً: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ والآن الخضر يؤكد لنفسه أن ما قرره في السابق لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قد تحقق. ففي الاحتمالين لا يكون لوماً لموسى عليه السلام في المرة الأولى ولا إحراجاً له فقال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ لأنها المرة الأولى فيتسامح بها.

ولكن موسى عليه السلام عندما أنكر على الخضر عليه السلام في الثانية

إنكاراً أشد من الأولى وقال: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ أي وقعت في منكر عظيم!! خاطبه الخضر عليه السلام بلهجة شديدة فيها شيء من الإحراج فقال: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ أي خاطبتك أنت بنفسك، وقلت لك مشافهة، ولم أخاطب غيرك أنك لن تستطيع الصبر معي. قال الخطيب الإسكافي: «فكأنه قال: ألم يكن خطابي لك دون من سواك»[(١)] وهذا كما لو أتى إنسان بما نهيته عنه فلمته وعنفته، ثم أتى به مرة أخرى فإنك تزيد في تعنيفه[(٢)]. وكما ينبه المعلم طلبته أن لا يتكلموا أثناء الدرس، فعندما تكلم أحدهم خاطبه المدرس وقال له: ألم أنبه وأحذر من الكلام أثناء الدرس؟ ثم تكلم ثانية فقال له: لقد نبهتك أنت شخصياً بهذا الكلام، فلا عذر لك. لذا قال موسى عليه السلام للخضر وهو محرج: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

ومثل هذا ما ورد في سورة البقرة «سورة التوحيد وكمال المحبة واستسلام القلب لله تعالى وحده» حيث ذكر الله تعالى مننه على بني إسرائيل لتحبيب نفسه إليهم ليحققوا كمال المحبة والعبودية له وحده، فعندما قال سبحانه آمراً إياهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ

(١) درة التنزيل (٢٨٥)، ونحوه النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٦/ ١١).

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/٢١٣).

شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ذكر الله سبحانه عصيانهم بأسلوب فيه رفع للحرج عنهم فقال: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾، فلم يذكر في هذه السورة أنه قال لهم: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ لئلا يحرجهم، تلطفاً وإكراماً وتحبباً.

ولله المثل الأعلى؛ كالملك عندما يخاطب قبيلة معينة ويريد أن يحبب نفسه إليها ويحذرها من معصيته وفيها فئة قد عصته ومكرت به، فإنه عندما يذكر مننه على الرعية والقبائل كلها يقول: لكن بعض العصاة والخارجين علي عصوني ومكروا للإيقاع بي. ولا يقول للقبيلة المخاطبة: هذه المجموعة منكم أنتم، لئلا يحرج القبيلة.

أما في موضع اللوم والمحاسبة والفضيحة وبيان المعاندين والتحذير من سلوك طريق جاحدي النعمة فإن أسلوب الخطاب يختلف، إذ ينبغي فيه الإحراج. وهذا الذي ورد في سورة الأعراف «وهي سورة الرسالة والإنذار» لما ذكر الله تعالى المصائب والمشاق التي ستواجه الرسل من قبل أعدائهم الكفار من ناحية ومن قبل أتباعهم من ناحية أخرى ذكر الله تعالى قصة موسى عليه السلام والمتاعب التي واجهها من قبل أتباعه بني إسرائيل تحذيراً للصحابة من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل. فكان الخطاب

شديد اللهجة في بني إسرائيل متضمناً التضييق عليهم فقال سبحانه: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ﴾، وقال تعالى: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ ولم يقل سبحانه: [انفجرت]، وذكر طلب الاعتراف بالذنب قبل دخول القرية وهذا زيادة في الإهانة ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾، وذكر مغفرة بعض الخطايا فقال ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ﴾ وهو جمع قلة، وذكر تحريفهم واستهزاءهم فقال: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾، أي الذي بدّل القولَ هم الذين ظلموا منكم أنتم لا من غيركم زيادة في الإحراج والفضيحة واللوم لأن مقصد السورة النذارة.

وهنا في سورة الكهف قال الخضر في المرة الأولى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ ولم يقل [ألم أقل لك] لئلا يحرجه، فاعتذر موسى بالنسيان وقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾.

وفي الثانية أنكر موسى عليه السلام بشدة على الخضر عليه السلام فقال: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ فخاطبه الخضر بخطاب شديد اللهجة؛ زيادة في العتاب[1]: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ أنت شخصياً ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ ولكنك أبيت إلا الاستمرار معي، والآن تنكر علي

(١) البيضاوي (٢١٣/٦)، ونحوه للجمل على الجلالين (٤٤٤/٤).

بشدة؟! لأن إنكار موسى عليه السلام كان أكثر وموجب العتاب أقوى[1]، لذا علم موسى عليه السلام خطأه فقال للخضر وهو في حالة حرج: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾.

* * *

(١) النيسابوري (١١/١٦)، ونحوه لابن جماعة في كشف المعاني (٢٤٨)، والريان في روضة (٢٢٨/١).

٦- تستطيع وتسطع

قال الخضر لنبي الله موسى عليه السلام: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾، وبعدما فسر له الحِكَم من فعله لتلك الأمور التي أنكرها موسى عليه السلام قال: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾، ﴿تَسْطِع﴾ بحذف **التاء**؛ فما الحكمة؟

أولاً: الفرق بين تستطيع وتسطع

قاعدة بلاغية: «النقصان في المبنى يقتضي نقصاناً في المعنى، والزيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى».

مثال:

- صبر واصطبر. زيادة الطاء **في اصطبر** تقتضي زيادة في الصبر، **وصبر** أقل صبراً من اصطبر.

- قَتَل و قَتَّل. تشديد التاء يقتضي زيادة في القتل، **وقَتَل** أقل تقتيلاً من **قتَّل**.

- استطاع واسطاع. **استطاع** له القدرة الكاملة على فعل

المطلوب، بينما **اسطاع** له قدرة ناقصة؛ لنقصان حرف التاء.

ثانياً: الفرق بين لم يستطع و لم يسطع

أ- **لم يستطع**: أي القدرة التامة غير متوفرة، ولكن يحتمل وجود قدرة ناقصة. فقولك: «لم يستطع أداء دينه» يحتمل أن لم يؤد شيئاً منه، ويحتمل أنه لم يتمم أداءه وإنما أدى جزءاً منه وعجز عن الباقي. وقولك: «لم يستطع أكل هذا الطعام» يحتمل أنه لم يأكل منه شيئاً، ويحتمل أنه أكل بعضه ولم يأكله كله.

ب- **لم يسطع**: نفي القدرة الناقصة، فأقل صور القدرة منفي، مما يقتضي عدم القدرة بأي حال من الأحوال وبأي صورة من الصور.

ثالثاً: قال موسى عليه السلام للخضر عليه السلام في بداية اللقاء: ﴿... هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ إنك سترى أحداثاً ستتعرف على حِكَمِها ومغزاها إذا صبرت عليها، ولكنك لن تصبر عليها، لذا فلن تتعرف ولن تتوصل إلى حِكَمها، إذ ليست عندك القدرة الكاملة على الصبر لتعلم هذا العلم. فالصبر لتعلمها يتحقق بإحدى الطريقتين:

❊ إما أن تصبر إلى أن تنتهي هذه الأحداث فأفسرها لك .

❊ وإما أن تصبّر نفسك على التوصل إلى معرفة حِكَمها بنفسك.

وأنت يا موسى لا تمتلك القدرة الكاملة للصبر على تعلمها بإحدى الطريقتين. وهذا الخطاب من معلم إلى متعلم فيه تحفيز للمتعلم لينشط لتحقيق الاتفاق لتحصيل العلم المطلوب. فقال موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ أي سوف أصبر لأتعلم من هذا العلم، وستجد عندي القدرة على تعلم هذا العلم بصبري معك بإذن الله تعالى.

ولكن نبي الله موسى عليه السلام لم يصبر في الموقف الأول لِما رأى من المنكر. وذلك أنهما لَمَّا ﴿رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ فذكّره الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، ألم أقل إنك لا تمتلك القدرة الكاملة ﴿لَن تَسْتَطِيعَ﴾الصبر على تعلم هذا العلم، ولكن ما زال في المجال متسع في القدرة على الصبر والتصبر على تعلمه؛ قال موسى عليه السلام حينئذٍ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾.

لطيفة: هنا ملحظ آخر أنه لم يقل له: [لا تستطيع] وإنما ﴿لَن تَسْتَطِيعَ﴾. ﴿لَن﴾ تفيد النفي المؤقت النسبي، بينما [لا تستطيع] تفيد

النفي المؤبد للقدرة على الصبر وقطع الأمل في تحصيله. فعند نفي الاستطاعة على الصبر في المستقبل مع السعي لتحصيلها؛ مع وجود المتسع والاحتمال على الصبر فالأصح أن يقال: ﴿لَن تَسۡتَطِيعَ﴾، أما إن لم يكن ثمة احتمال ومتسع للصبر فيقال: [لا تستطيع].

ثم حدث موقف آخر فلم يصبر فيه موسى عليه السلام عندما ﴿لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾، فقال الخضر: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ فليست عندك القدرة الكاملة على تعلم هذا العلم بالصبر، وأكده بقوله: ﴿لَكَ﴾ لينتبه، ولكن ما زالت الفرصة أمامك لتصبر على معرفة الحِكَم وما ورائها، فقال موسى عليه السلام: ﴿إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾.

ثم حدث موقف ثالث عندما ﴿أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ﴾ الخضر، حينئذ لم يصبر موسى عليه السلام فقال: ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ لأن القوم لئام لم يضيفونا. فقال الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾ سأنبئك بحقيقة الأحداث وحِكَمِها التي لم تكن عندك القدرة الكاملة على الصبر لمعرفتها وتعلمها.

فقول الخضر في الآية: ﴿مَا لَمۡ تَسۡتَطِع﴾ بإثبات التاء فيه دلائل:

* نفى القدرة الكاملة على الصبر لتعلُّمها، ولكن لم ينف القدرة الناقصة على معرفتها بالصبر. قال البقاعي: «ما نفى إلا القدرة البليغة على الصبر، إشارة إلى صعوبة ما حمل موسى من ذلك، لا مطلق القدرة على الصبر»[1].

* إذ من الممكن أن يطلب موسى عليه السلام من الخضر أن يُنْظره ساعة من الزمن لمعرفة الحكمة منها بنفسه، فيصبر نفسه هذه الساعة في التفكير في مغزاها والتوصل إليها قبل أن يفسرها الخضر ويعلمه إياها، فلا زال في الوقت متسع لأن يقول: قد علمت الآن الحكمة من تلك التصرفات التي ظاهرها مفسدة وحقيقتها مصلحة. لذا لم ينف الخضر القدرة الناقصة عن موسى عليه السلام على أن يصبر نفسه لمعرفتها، ولكن نفى القدرة الكاملة لها. ولكن لهول هذه الأحداث وعظمها وتتابعها من خرق سفينة المساكين الكرماء وقتل النفس البريئة وإكرام اللئام لم يطق موسى عليه السلام الصبر ساعة على هذه المنكرات العظيمة في الظاهر إلى أن يتوصل إلى مغزاها.

حينئذ بين له الخضر حقائق هذه الأحداث وما وراءها وتأويلها وحِكَمِها. فاتضح بعد الانتهاء من تفسير الخضر لها أن موسى عليه السلام

---

(١) نظم الدرر (٤/٤٩٦).

لم تتوفر لديه القدرة الكاملة ولا القدرة الناقصة على تصبير نفسه للتوصل إلى معرفتها، فانتفت عنه كل أنواع القدرة للصبر على تعلمها. لذا نفاها عنه الخضر في نهاية الأحداث وبعد تفسيرها فقال: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ ﴿تَسۡطِع﴾ بحذف التاء أي القدرة الناقصة. فنفى عنه القدرة المتبقية الناقصة من الصبر على تحمل هذه الأهوال للتوصل إلى الحكمة منها ولم يقل [ما لم تستطع]. قال البقاعي: «حذفت تاء الاستطاعة لصيرورة ذلك -بعد كشف الغطاء- في حيز ما يجمل. فكان منكره غير صابر أصلاً لو كان عنده مكشوفاً من أول الأمر»(١).

فعندما كان في المجال متسع ليصبر موسى عليه السلام نفسه لمعرفتها قبل تفسير الخضر لها قال: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع﴾ بإثبات **التاء** فلم ينف القدرة الناقصة وإنما نفى القدرة الكاملة. وبعدما فسر له الحوادث وتبين أن موسى عليه السلام لا يملك أي نوع من أنواع الصبر للتوصل إلى مغزاها قال: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ بحذف **التاء**، فنفى القدرة الناقصة من الصبر لتعلمها ومعرفتها.

(١) نظم الدرر (٤/٤٩٨)

٧- اسطاع واستطاع

الزيادة في الأحرف تعني زيادة في المعنى، والنقصان فيها يدل على نقصان في المعنى، كما قيل: الزيادة في المبنى تقتضي الزيادة في المعنى .

كلمة **استطاع** تدل على القدرة الكاملة، ونفيها **لم يستطع** يدل على عدم وجود كمال القدرة، ولكن يحتمل وجودها بصورة ناقصة ويحتمل عدم وجودها.

مثاله: لو كانت يد الأب تقصر عن توفير المتطلبات الأصلية لأولاده، كأن تكون النفقة توفي إطعامهم إلى منتصف العام فقط ويبقى النصف الثاني بلا قوت ولا طعام فإنه يقال فيه: لا يستطيع الإنفاق عليهم. ولا يعني ذلك أنه لا يملك شيئاً، وإن كانت الكلمة **لا يستطيع** تحتمل الحالتين.

أما كلمة **اسطاع** فتدل على وجود قدرة ناقصة غير كاملة، ونفيها **لم يسطع** يدل على ذهابها كلية، إذ نفي القدرة القليلة المتبقية يقتضي عدم وجود أي صورة من صورها، فهو عاجز تمام العجز عن تحقيقه،

فلا يملك أدنى قدرة.

مثاله: لو كانت يد الأب قاصرة عن توفير أي مقدار من الطعام والقوت للأولاد فإنه يقال فيه على وجه الدقة: لم يسطع الإنفاق عليهم؛ بحذف التاء.

قال الله تعالى عن يأجوج ومأجوج ومحاولاتهم الخروج من السد المنيع: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾. من المعلوم أن الخروج من السد يحصل إما بالعلو عليه وتسلقه، أو بفتح نقب -فتحة كبيرة- فيه يستطيع المرء الخروج منه .

أما العلو عليه وتسلقه فقد نفى الله تعالى القدرة عليه نفياً قاطعاً، إذ نفى كل أنواع القدرة وكل صورها بنفيه لأدنى أنواع القدرة فقال سبحانه: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ ولم يقل سبحانه: ﴿فَمَا استطاعوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾، فلن يأتي اليوم الذي يعلون فيه على السد.

وأما فتح النقب وحفره؛ فلم ينف المولى عز وجل جميع أنواع القدرة وصورها، وإنما نفى القدرة الكاملة فقال: ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾. قال البقاعي: «وزيادة التاء هنا تدل على أن العلو عليها أصعب من نقبه لارتفاعه وصلابته والتحام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد ونحاس في علو الجبل...، ويؤيده أنهم إنما يخرجون في

آخر الزمان بنقبه لا بظهوره، ولا ينافي نفي الاستطاعة لنقبه»[(١)].

فلم ينف المولى تبارك وتعالى القدرة الناقصة في النقب وذلك لوجود القدرة على حفر النقب، ولكنها تتحقق بعد مئات السنين، وبعد محاولات متكررة، فهي قدرة ناقصة. وهذا الذي ذكره النبي ﷺ؛ فعن زينب بنت جحش رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه؛ وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها. قلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث»[(٢)].

فبين النبي ﷺ أنه بعد عشرات بل مئات السنين من بناء السد ووافق ذلك العهد المدني استطاع يأجوج ومأجوج أن يفتحوا ثقباً صغيراً، فهذه قدرة ناقصة.

وفي الأثر: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً. فيرجعون إليه كأشد ما كان. حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن

(١) نظم الدرر (٤/٥٠٥).

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠).

يبعثهم على الناس حفروا حتى كادوا أن يروا شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً إن شاء الله، ويستثني - أي بقوله إن شاء الله، فيعودون إليه وهو كهيئته يوم تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس»[1]. ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾[2]، ﴿فُتِحَتۡ﴾: أي بفتح السد[3].

(١) رواه أحمد (٢/٥١٠-٥١١) مرفوعاً، وقال ابن كثير: في رفعه نكارة، ورواه الطبري (١٧/ ٧٢) من قول كعب الأحبار، قال ابن كثير: هذا من أحسن سياقات كعب الأحبار (تفسير سورة الأنبياء آية ٩٦).

(٢) الأنبياء (٩٦).

(٣) نظم الدرر (٥/١١٢).

٨- عدد أصحاب الكهف

قال الله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أنا من القليل، كانوا سبعة[١]»، أي وثامنهم كلبهم. ربما رجح ابن عباس هذا العدد لثلاثة أدلة:

١- لأن الله تعالى ذكر الأعداد الأخرى فوصفها بأنها أقوال بلا علم رجماً بالغيب ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾. ولما ذكر القول الثالث لم يصفه بأنه رجم بالغيب ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾. قال ابن كثير: «ثم حكى الله تعالى القول الثالث وسكت عليه أو قرره. فدل على صحته وأنه الواقع في نفس الأمر»[٢]. وفي تفسير الجلالين: «وصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح[٣]» ا.هـ.

(١) رواه ابن جرير (١٥/١٥٠).

(٢) تفسير سورة الكهف، آية (٢٢).

(٣) الجمل (٤/٤٠٨).

٢- ثم لم يذكر الله تعالى **واو** التأكيد في الأقوال الموصوفة بأنها رجم بالغيب فقال سبحانه: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ ولم يقل سبحانه: [ورابعهم كلبهم]، وقال تعالى: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾؛ ولم يقل: [وسادسهم كلبهم]، ولما ذكر القول الثالث: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ قال سبحانه مؤكداً بالواو: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

قال البيضاوي: «فائدة دخول الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على اتصافه بها أمر ثابت»(١). قال البقاعي: «دلت هذه الواو على أن أهل هذا القول قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس، لم يرجموا بالظن»(٢).

وقد رأى الإمام ابن القيم أن الأحسن أن يقال بأن القول ﴿سَبْعَةٌ﴾ من قول الناس، وأكده سبحانه من عنده بالواو بقوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فقال: «قد حكى سبحانه أنهم قالوا ﴿سَبْعَةٌ﴾ ثم أخبر تعالى أن ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾. فحينئذ يكون تقريراً لما قالوه، وإخباراً بكون الكلب ثامنهم»(٣).

---

(١) تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب (١٥٥/٦).

(٢) نظم الدرر (٤٦٠/٤).

(٣) بدائع الفوائد (١٧٦/٢)، ونحوه الغرناطي في ملاك التأويل (٦٤١/٢-٦٤٢)، والإسكافي في درة التنزيل (٢٨٠).

٣- جنوح ابن عباس رضي الله عنهما إلى العدد **سبعة** كما في ترجيحه ليلة القدر. فعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: أي ليلة هي؟ قال ابن عباس: سابعة تمضي أو سابعة تبقى من العشر الأواخر: خلق الله سبع سماوات، وسبع أرضين، وسبعة أيام، وإن الشهر يدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع؛ لأشياء ذكرها»(١).

أما قوله: ويأكل من سبع فقد فسرها في رواية قتادة ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ﴾ وأما خلق الإنسان من سبع ففسرها ابن عباس من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾(٢).

* * *

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٢٢/١٠).
(٢) رواه ابن سعد وعبد بن حميد (الدر المنثور ٥٧٥/٦).

٩- ﴿ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾ وليس المهتدي

قال الله تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾ كما في رواية حفص بحذف **ياء** المهتدي؛ ما الحكمة؟

أولاً: الزيادة في المبنى (في اللفظ) تقتضي زيادة في المعنى، والنقصان في المبنى يقتضي نقصاناً في المعنى .**فالمهتدي** أصلها من **هدى يهدي** فالياء أصلية، فدل على الهداية التامة. بينما **المهتد** حذفت ياؤه الأصلية فدل على نقصان في الهداية.

ثانياً: **المهتدي** هو صاحب الهداية الكاملة التي لا يشوبها شيء من خطأ ونسيان وذنب صغير مغفور فضلاً عن الذنوب الكبيرة وهي الكبائر. ولكن الطبيعة البشرية لابد وأن يعتريها شيء من ذلك، إذ روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»[1].

فما من عبد إلا وهو معرض للخطأ كما حصل لموسى

(١) رواه أحمد (١٩٨/٣)، والترمذي (٢٤٩٩) وحسنه الألباني.

الكليم عليه السلام عندما ضرب الفرعوني فقتله خطأً. النسيان ملازم للطبيعة البشرية كما قال موسى عليه السلام للخضر: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣﴾. بل المؤمنون يقعون في الذنوب الصغائر ولكنهم يسارعون في التوبة إلى الله تعالى إذ قال النبي ﷺ: «لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم»[(1)].

فالهداية التي يعتريها ما سبق من النسيان والخطأ والصغائر والغفلة لا يقال لمن اتصف بها أنه **المهتدي** هداية كاملة لا يعتريها شيء مما سبق، وإنما الأبلغ أن يقال **المهتد** بحذف الياء للنقص المذكور في الهداية، إذ النقص في المعنى يناسبه النقص في المبنى؛ في اللفظ. قال الله تعالى عن أصحاب الكهف ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ فأصحاب الكهف كبقية المؤمنين يعتريهم النسيان والخطأ والوقوع في الصغائر، فناسبهم لفظ **المهتد**، هذا من جهة .

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٨).

ومن جهة أخرى بالرغم من إيمانهم العميق المتصف بالقوة إلا أن العبد المؤمن يخاف أن تنقلب أحواله فلا يأمن من الاستجابة للفتن كفتنة القهر أو المال والولد، أو حب الشهرة أو الفخر بالأصل أو فتنة العلم والمنصب. فينبغي أن يلازمه هذا الشعور، فلا يخرج نفسه من دائرة احتمال الوقوع فيها لئلا يشعر بالعجب والغرور، فهو معرض للسقوط في أي لحظة فـ «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد؛ يصرفه حيث يشاء»[(١)]، وهذا يناسبه لفظ **مهتد**.

إذ كلما شعر العبد أن عمله يشوبه النقص كان أبعد عن الغرور والعجب، فيخالجه الشعور تجاه هذه الفتن أنه معرض للوقوع فيها لحظة الغفلة أو النسيان أو الخطأ أو غلبة الشهوة كحال بني آدم فهو **مهتد** لا **مهتدي**.

ومن جهة أخرى؛ فإن العبد يظن أحياناً إذا ما وقع في الفتن أنه خرج عن طريق الهداية ولا يستطيع الرجوع إليه، لكن الله تعالى بين له أنه ما زال في طريق الهداية إذا ما رجع وتاب، واستغفر وندم، فيستحق اسم الهداية فقال سبحانه ﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾، فلم يوصف بالهداية

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).

التي لا يعتريها النقص أبداً «**المهتدي**» ولم يسلب منه اسم الهداية.

أما ورود كلمة **المهتدي** في سورة الأعراف دون **المهتد** لأن الله تعالى تكلم قبلها عن إتمام كلمته الحسنى على بني إسرائيل ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وإنجائهم وإهلاك الفراعنة من أجلهم، وتكليم الله تعالى موسى عليه السلام، وإنزال التوراة وقد خطها الله تعالى بيده. وتكررت في حقهم كلمة الهداية إذ بين الله تعالى أن هذه التوراة ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾، ثم قول موسى عليه السلام لله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، ثم ذكر الله تعالى أن من قوم موسى أمة ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾.

فأصابهم الغرور بأنهم الأمة المختارة على العالمين إذ قالوا ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾، وقالوا ﴿كُونُوا۟ هُودًا﴾ تهتدوا، وقالوا ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾. فوقعوا في ضلالات متلاحقة؛ منها استياؤهم من مجيئ موسى عليه السلام فقالوا: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾، وطلبهم عبادة آلهة أخرى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، وعبادتهم العجل ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾، واشتراط خيارهم والمقدمين منهم وهم السبعون رجلاً الذين أتوا لطلب التوبة لقومهم من عبادة العجل؛ فقد اشترطوا رؤية الله تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾، ثم

إعراضهم عن الإيمان بالنبي ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾، وقولهم «حنطة» بدلاً من ﴿حِطَّةٌ﴾، ودخولهم يزحفون على إستاههم لما قيل لهم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ استهزاءً، وتحايلهم للصيد يوم السبت، وقولهم ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ مع إصرارهم على الكبائر.

ثم ذكر الله تعالى قصة العالم الذي أكرمه الله تعالى بالعلم الشرعي ولكنه أخلد إلى الأرض؛ قيل إنه بلعام بن باعوراء أحد علماء بني إسرائيل ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾. إذ جمع علماً كثيراً فغره علمه واتكل عليه، فبين الله تعالى أن العلم ليس هو الهداية، وليس الجامع للعلم هو المهتدي! فمن اتكل على علمه وكل إليه. وإنما حقيقة الهداية من هداه الله تعالى هداية حقيقية كاملة لا نقص فيها ولا شائبة نسيان وخطأ وصغيرة وغيرها، فهو المستحق لوصف ﴿ٱلْمُهْتَدِى﴾ والله تعالى قادر على خلق عبد من الإنس أو الجن بهذا الوصف، ولكنه سبحانه لم يشأ .

فمن طلب الهداية التامة الكاملة فعليه أن يلجأ إلى الله تعالى فذلك الطريق الأوحد للهداية الحقيقية التامة التي لا شائبة فيها، لا

من اتكل على نفسه وغره علمه وأعجب بمكانته. فلو كانت الهداية هي العلم لكان إبليس هو أهدى الخلق في وقته .

فمناسبة ذكر ﴿ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾ في هذه السورة ليعلم المغتر والعاصي قدره، وأنه بعيد عن الله تعالى. وتوضيحه كما يلي: لو تمت المقارنة بين العاصي صاحب الكبيرة المغتر وبين ذاك الذي وقع في الكبائر ثم تاب مباشرة لظن العاصي أن الفرق ليس كبيراً، إذ كلاهما وقع في الكبيرة. وكذا صاحب الصغيرة المصر عليها مع ذاك الذي لم يتب منها ولم يصر عليها بل نسيها، لرأيت أن الفرق ليس كبيراً.

ولكن لو كانت المقارنة بين العاصي صاحب الكبيرة المصر عليها والمهتدي هداية كاملة لعلم أن الفرق بينهما كبير فيعلم حينئذ أنه بعيد عن الله تعالى فضلاً عن الفخر باختيار الله تعالى له؛ وهذا هو الملاحظ في سورة الأعراف.

وزيادة في الإيضاح: لو نظر إلى مراحل الوقوع في الزنا، أولها غض البصر عن المرأة وعدم مكالمتها، ثم النظر إليها لحاجة ثم النظر إليها بلا حاجة، ثم مكالمتها لحاجة ثم مكالمتها بلا حاجة، ثم مجالستها ثم مس يدها، ثم التقبيل ثم المباشرة بلا جماع، ثم الوقوع في الزنا ثم تكراره ثم الإكثار منه. فلو تمت المقارنة بين

كل مرحلة والتي تسبقها مباشرة لقيل إن الفرق قليل سهل، ولما علم صاحب المرحلة الأخيرة عظم الجرم الواقع فيه. ولكن لو تمت المقارنة بين المكثر من الزنا وبين المرحلة الأولى وهي غض البصر عن المرأة لعلم عظم الجرم والبون الشاسع بينهما.

وفي المقابل طالب العلم الشرعي: فالمرحلة الأولى تبدأ بالسؤال ثم الإكثار من السؤال، ثم حضور مجلسٍ علمي ثم مجلسين ثم عدة مجالس علمية، ثم يصبح طالب علم شرعي ثم متميزاً، ثم بداية المشيخة ثم المرحلة الثانية من المشيخة، ثم المشيخة، ثم المشيخة المتميزة، ثم عالماً ولكن في المراحل الأولى ثم المتوسطة ثم عالماً، ثم مجتهداً ثم مجتهداً متميزاً. فلو تمت المقارنة بين كل مرحلة والتي قبلها لكان الفرق قليلاً، ولا يشعر صاحبه بالبون الشاسع. أما لو تمت المقارنة بين المرحلة الأولى للطلب والمرحلة الأخيرة وهو العالم المجتهد المتميز لعلم أنه لا يعلم شيئاً مقابل العالم المجتهد المتميز.

وهكذا لو تمت المقارنة بين مراحل الهداية وبين الوقوع في المعصية. فإن **المهتدي** هداية كاملة هو الذي لا ينسى ولا يخطئ، ولا يقع في الصغيرة متعمداً ولا غير متعمد، ولا في الكبيرة. ثم الوقوع في الخطأ غير المتعمد، ثم النسيان، ثم الوقوع في

الصغيرة بلا إصرار، ثم الوقوع في الكبيرة بلا إصرار مع توبة مباشرة (مهتد)، ثم الوقوع في الصغيرة مع عدم التوبة، ثم مع الإصرار، ثم في الكبيرة مع عدم الإصرار، ثم الإصرار، ثم تعدد الكبائر، ثم الإكثار من الكبائر. فبمقارنة كل مرحلة مع سابقتها يبدو الفرق قليلاً، بل قد يشعر بعضهم أنه لا فرق بينه وبين سابقه. ولكن عندما تقارن آخر مرحلة (صاحب الكبائر الكثيرة) **بالمهتدي** هداية كاملة لا شائبة فيها من نسيان ولا غيره يعلم العاصي حينئذ حقيقة نفسه وما هو عليه، وأنه كان مغروراً زائغاً يستحق العقوبة.

فإياك أن تغتر بهدايتك! ولذا قيل: إن طالب العلم في المرحلة الأولى يظن أنه العالم الأوحد لا نظير له، فإذا ارتقى في طلب العلم رأى نفسه كباقي الطلبة، وإذا ارتقى في سلم العلم علم أنه جاهل لما يرى من سعة العلم وتفريعاته ودقة فهم العلماء واستنباطهم، وأن هناك علوماً كثيرة ومسائل عدة لا يعرف الحق فيها وأخرى لا يعرفها، فيرى العلم على حقيقته.

فناسب في سورة الإنذار والرسالة سورة **الأعراف** أن يقال **المهتدي**، فهي تخاطب العاصي الغارق في العصيان وهو مغتر. بينما سورة **الكهف** تخاطب من هداه الله تعالى وعصمه من الفتن ولم يكن مغروراً، بل هاجر فراراً إلى الله تعالى. فالوصول إلى الغاية

والهداية المذكورة ﴿ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾وهي الهداية مع النسيان والخطأ وغيرهما أمر ممكن، ولكن ليعلم أنه وإن اهتدى فهو معرض للزلل في كل لحظة ومعرض للاستجابة للفتن الست التي تعترض طريقه، فلا يرى لنفسه حقاً على الله لهدايته. لذا كثر في السورة الإشارة إلى نكران حقوق النفس على الله تعالى بحذف حروف المد في كثير من الآيات في قراءة حفص ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ﴾ ﴿أَن يُؤۡتِيَنِ﴾ ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ﴾.

ولو قال قائل: إذا خلت البشرية من **المهتدي** هداية كاملة بلا نسيان ولا خطأ، ألا يصح أن يطلق هذا اللفظ **المهتدي** على الذي ينسى ويخطيء ولا يتعمد المخالفة؟ لأنه من أفضل البشر مقارنة بمن يتعمد المعصية والمخالفة، فالمسألة نسبية؟

يقال له: يمكن أن يطلق هذا اللفظ أحياناً كما في قراءة نافع وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب لسورة الإسراء والكهف، ولكن الأصل ما سبق بيانه .

فكل من القراءتين أعطت معنى أفاد القارئ. فقراءة نافع ومن وافقه دلت على جواز إطلاق لفظ **المهتدي** على أهل الدرجات العلى كالمرسلين وسائر الأنبياء والصديقين والمحسنين وغيرهم،

وأنها أحياناً تطلق على الكمال البشري. فدلت هذه القراءة على أنهم قد بلغوا الكمال ولكن البشري.

وقراءة حفص ومن وافقه دلت على أن هذا الكمال البشري في الهداية لا يخلو من النسيان أو الخطأ أو وقوع بعض المؤمنين في الصغائر فهم من البشر، والبشر يعتريهم ما ذكر، فحقيقة أمره **مهتد.**

فكلا اللفظين في هذا الموضع منح معنى بليغاً. فالأُولى قراءة نافع ﴿ٱلۡمُهۡتَدِیۖ﴾ دلت على أنهم بلغوا الكمال البشري، والثانية قراءة حفص ﴿ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾ دلت على أن الكمال البشري لابد وأن يعتريه شيء من النسيان والخطأ.

❊ ❊ ❊

١٠- ﴿عَضُدًا﴾ وليس أعضاداً

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ بصيغة المفرد ولم يقل سبحانه: **أعضاداً** بصيغة الجمع كما جمع ﴿ٱلْمُضِلِّينَ﴾؟

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾؛ **فالعضد** هو ما فوق الذراع بين المرفق والكتف، ويكنى به عن الإعانة والمؤازرة كما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

وردت هذه الآية في سورة الكهف في شأن الافتتان بشرف الأصل كما فتن إبليس بشرف أصله أنه من الجن، زاعماً أن الجن أفضل من الإنس لأنهم خلقوا من نار. فقد يفتتن بعض الناس بشرف أصله الذي يصبح مدعاة للإعراض عن دين الله تعالى، فيفخر بنسبه وآبائه وأجداده وأخواله، ويترفع بهم عن متابعة أوامر الله تعالى وحضور مجالس الذكر ومساجد الله تعالى. فبين الله تعالى أن هؤلاء بمجموعهم دون الصلاحية، وأنهم لو اجتمعوا فإنهم لا يرتقون إلى مستوى المؤازر الواحد لهذا الدين بالرغم من شرف أصلهم المزعوم الذي اعتضدوا به وائتزروا وبلغوا الغاية فيه، إلا

أنهم أحقر من أن يبلغوا منزلة المعين الواحد فيستعان به، وأذل من أن يرفعهم الله تعالى لنصرة دينه.

* * *

١١- ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ وليس علموا

قال الله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ ولم يقل سبحانه [فتيقنوا أنهم مواقعوها] أو [علموا أنهم مواقعوها]!

لو رأيت أحوال المجرمين يوم القيامة لرأيتها غاية في الذل، إذ يتشبثون بأبعد الآمال للنجاة من العذاب. فبالرغم من سوقهم إلى نار جهنم وعرضهم عليها بأمر الله تعالى ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾، والاستجابة السريعة من الملائكة العظام للأوامر الإلهية في دفع الكفار إلى النار دفعاً ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣﴾ ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩﴾، وبالرغم من الأمر الإلهي الذي لا يبدل بأن يكبكبوا فيها ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ إلا أنهم عندما يعاينونها ويرون ما فيها من الأهوال ويرون عمقها الذي يبلغ مسيرة سبعين سنة، ويرون شدة حرها الذي يفوق نيران الدنيا الملتهبة سبعين ضعفاً وشدة تسعيرها وإيقادها ولظاها الذي ينزع جلدة الوجه من الرأس ﴿نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦﴾؛ قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أوقد على النار ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد

عليها ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء كالليل المظلم»[(١)]، ويرون عظم لهيبها وشررها ﴿إِنَّهَا تَرۡمِى بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢﴾، وصوتها المخيف لاسيما حال تغيظها وفورانها وشهيقها تكاد تتقطع، لا نفس فيها، ويحطم بعضها بعضاً، ويسمعون شدة صياح أهلها فيها ولا مجيب حينئذٍ يتمسكون بقشة من الأمل لعلهم ينجون منها.

وهذه القشة من الأمل أخرجتهم من يقين دخول النار إلى ظن دخولها. لذا يحاول المجرم بكل وسيلة تخطر في ذهنه لعله ينجو بها. إذ يخطر في ذهنه أن الكذب يمكن أن ينجيه فيدعي أنه لم يشرك بالله تعالى في دنياه ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٢٢ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ﴾.

فإذا لم تنفعه هذه الوسيلة استعمل وسيلة أخرى ربما ينجو بها من النار وهي أن لا يقبل شهادة الملائكة عليه بكفره؛ قال النبي ﷺ في مخاطبة الكافر ربه تعالى يوم القيامة: «يارب! ألم تجرني من الظلم؟ يقول: بلى. فيقول [الكافر]: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني. فيقول [الله تعالى]: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام

(١) قال الترمذي (٢٥٩١): الموقوف أصح، انظر السلسلة الضعيفة للألباني (١٣٠٥).

الكاتبين شهوداً. فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطِقي. فتنطِق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول [الكافر]: بعداً لَكُنّ وسحقاً، فعنكن كنت أناضل»[(١)]، هذا عندما يساق إليها لإلقائه فيها.

فإذا لم تنفع هذه الوسيلة لنجاته استعمل وسيلة ثالثة أن يسأل العودة إلى الدنيا، ليؤمن بالله وآياته ولا يكذب رسله ليتخلص مما شاهده من أهوال النار ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾. فتكون عنده بارقة أمل بالنجاة فيتحول يقينه في دخول جهنم إلى احتمال دخولها.

فالأمر متوقف على نجاح الوسائل التي سيستخدمها للنجاة منها قال الله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾، ولم يقل سبحانه: [فتيقنوا أنهم مواقعوها] أو [علموا أنهم مواقعوها] وإنما ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ كالمتعلق بمن يحب من الأحياء، وفجأة يراه ميتاً أمامه فيصدم، وتعتريه الوساوس والأوهام لعله لم يمت، لعل.. لعل، فيعيش حالة من التشكك في موته لا بالتيقن منه.

فقارن الآن بين التكبر والترفع في الدنيا بشرف الأصل والفخر بالآباء والأجداد والتهائه به عن طاعة الله تعالى واحتقاره لعباد الله

(١) رواه مسلم (٢٩٦٩).

والدعاة إلى دينه من ناحية، وبين الذل الذي يحيط به يوم القيامة وحال الذليل من التلطف والتعلق بكل حركة وكل كلمة وخشوع البصر وانكسار الوجه بحثاً عن أدنى وسيلة أو سبب لينجو مما هو فيه!

وممن حملها على ظاهرها في الظن الذي ليس بيقين مجموعة من المفسرين مع اختلافهم في توجيهها:

١- الشهاب الخفاجي إذ قال: «قيل على ظاهره لعدم يأسهم من رحمة الله قبل دخولها. وقيل: باعتبار أنهم ظنوا أنهم تخطفهم في الحال»[١].

٢- وقال النيسابوري: «إن الكفار يرون النار من مكان بعيد، فيغلب على ظنونهم أنهم مخالطوها، واقعون فيها في تلك الساعة من غير تأخير ولا مهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها)[٢].

٣- وقال البقاعي: «جرياً على عادتهم في الجهل كما قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ بغير علم و﴿... مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ مع قيام الأدلة التي لا ريب فيها»[٣].

(١) حاشية الشهاب (٦/١٩٤)
(٢) تفسير النيسابوري (١٥/١٧٧).
(٣) نظم الدرر (٤/٤٨١).

١٢- ﴿أَن يُؤۡتِيَنِ﴾ وليس يؤتيني

قال المولى ﷻ في قصة صاحب الجنتين عندما خاطبه المؤمن: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ فقال: ﴿أَن يَأۡتِيَنَ﴾ بحذف الياء، وليس [أن يؤتيني]؛ ما الحكمة من حذف الياء في هذه القراءة؟

الإيتاء هو العطاء، و **أن يؤتيني** أن يعطيني، والكلمة مكونة من ثلاثة مقاطع: فعل **يؤتي** وحرفي **النون والياء** (يؤتي، ن، ي).

أما الفعل **يؤتي** فهو بمعنى: يعطي

وحرف **النون**: هو نون الوقاية ونون العماد، يقابل التنوين في الأسماء.

أما حرف **الياء**: فهو ياء المتكلم، أي يصل إليَّ أنا .

فقوله: **يؤتيني** أي العطاء يصل إلى نفسي، يصل إليّ أنا. فإذا حذفت الياء، وقلت: ﴿يَأۡتِيَنِ﴾ دل على أمرين:

١- **أني لا أجزم أن العطاء يصل إلى نفسي ويصل إليّ.** فمن

عطاء الله لي نجاتي وإدخالي الجنة، وغفران ذنوبي وعفوه عني. فقوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ أي أنا لا أستطيع أن أجزم على الله تعالى أنه ينجيني، ولا أستطيع أن أجزم وأؤكد أنه يدخلني الجنة. فلي ذنوب كثيرة لم أنتبه لها أو نسيتها ولعلي لم أتب منها، وعليَّ واجبات وحقوق لعلي قَصَّرت فيها كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾. فذنوبي كثيرة لعلها تفوق حسناتي فتمنعني من دخول الجنة، ولكن أنا أحسن الظن بربي أن الأمر قريب بأن يرزقني خيراً من جنتك.

٢- إن ذنوبي كثيرة، وربما تجمعت عليّ فكانت سبباً في انتكاسي وانقلاب حالي من الإيمان إلى الكفر، ومن الهداية إلى الضلال، ومن الاستقامة إلى الزيغ. فكم من مطيع اغتر بذنوبه وأعجب بأعماله الصالحة فكانت سبباً في هلاكه وتقلب أحواله، وفي الأثر: «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه»(١). وإني لا آمن مكر الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾.

بل النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي

(١) رواه البيهقي في الشعب (٦٨٦٥)، انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٨٠٢).

على دينك»[(١)]، ويقول رسول الله ﷺ: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾[(٢)] فكان ﷺ يقول: «وإني رسول الله، ولا أعلم ما يُفعل بي غداً»[(٣)]، وقال إبراهيم الخليل ﵇: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾، وقال يوسف ﵇: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[(٤)]، وقال سليمان ﵇: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[(٥)]، وقال أبو بكر الصديق ﵁: لو وضعت قدماً في الجنة وقدماً خارجها لا آمن مكر الله تعالى. وبكى سفيان الثوري وهو يحتضر على فراش الموت، فعندما سئل عن ذلك قال: أخشى أن أسلب التوحيد.

فكيف أجزم بعد كل هذا على نجاتي ودخولي الجنة؟! فقال: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ﴾، فلم يجزم ولم يؤكد أن خيراً من جنة الكافر سيصل إليه وإنما يرجو؛ فلم يقل [يؤتيني].

هذا اللفظ لإظهار ضعفه بين يدي الله جل وعلا، وأنه لا شيء

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٢) وصححه الضياء (٤٥٨/٢) والألباني.
(٢) الأحقاف (٩).
(٣) رواه البخاري (٧٠١٨).
(٤) يوسف (١٠١).
(٥) النمل (١٩).

أمام عظمته وجلاله. وهذا الأسلوب من هذا العبد المطيع لله تعالى المفتقر إليه هو الغالب عليه من خلال محاورته للكافر صاحب الجنتين كقوله له: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ﴾ بحذف ألف ﴿لَكُنَّا﴾ عند القراءة بالوصل إذ تقرأ بالوصل [لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ]، وقوله ﴿إِن تَـرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ بحذف ياء **ترني** فقال ﴿تَـرَنِ﴾، وقوله ﴿أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ﴾ بحذف ألف [أنا]، إذ لم يقرأها بالمد [أنآ أقل]، وإنما عند الوصل تقرأ بالحذف [أنَ أقل]، مع جواز قراءتها بالمد على أصلها. كل ما سبق من الأسلوب البلاغي في هذه القراءة تهميشاً لنفسه خضوعاً لهيبة الجلال.

* * *

١٣- ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا﴾

ذكر الله تعالى مدة لبث أصحاب الكهف في كهفهم فقال سبحانه: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا ٢٥﴾؛ فذكرت الآية المدة التي لبثوها في الكهف وهي ثلاث مائة سنة شمسية وثلاث مائة وتسع سنوات قمرية؛ فلماذا تم بيان اللبث بالتقويمين الشمسي والقمري؟ ما فائدة تفصيل المدة؟

أولاً: مازال أهل الذكاء والفطنة من الناس يتعاملون بالإشارات اللطيفة وهي من محاسن الكنايات. منها ما يحكى عن قصة رجل من المناقذة[(١)]. كان في مدينة حلب أمير ذكي فطن شجاع اسمه علي بن منقذ، وكان تابعاً للملك محمود بن مرداس. فحدث خلاف بين الملك والأمير، وفطن الأمير إلى أن الملك سيقتله، فهرب من حلب إلى طرابلس. وبعد مدة طلب الملك من رجل من أهل حلب صديق لابن منقذ وبينهما لحمة مودة أكيدة وأمره أن يكتب رسالة إلى الأمير علي بن منقذ يطمئنه فيها ويستدعيه للرجوع إلى حلب.

---

(١) المثل السائر (٢/٢١٩-٢٢٠).

شعر الكاتب بأن الملك ينوي الغدر بالأمير، فكتب له رسالة أعجبت الملك ولكنه كتب في نهايتها إشارة عمياء لا تُفْهم؛ يحذر بها ابن منقذ فكتب: «إنَّ شاء الله تعالى» بتشديد النون! ولم ينتبه الملك لتلك الإشارة فأرسلها إلى ابن منقذ.

لما قرأ الأمير الرسالة وأقرأها ابنه وقف الابن متعجباً من (إنّ) المشددة في نهايتها، فهو يعرف حذاقة الكاتب ومهارته، ففطن فوراً أن صاحبه يحذره من شيء ما حينما شدد تلك النون! فقال له: يا أبت! إنه يحذرك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾.

ثم بعث الأمير رده برسالة يشكر للملك أفضاله وعلى ثقته الشديدة به، وختمها بعبارة «أنّا الخادمُ المـُقِرُّ بالإنعام» بتشديد النون!

فلما قرأها الكاتب فطن إلى أن الأمير يبلغه أنه قد تنبه إلى تحذيره المبطن، وأنه يرد عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾، واطمأن إلى أن الأمير ابن منقذ لن يعود إلى حلب في ظل وجود ذلك الملك الغادر.

لقد كان النبي ﷺ يلتقط الألطاف الإلهية من هذه الإشارات الإلهية. منها:

لما خرج النبي ﷺ عام الحديبية من المدينة إلى مكة راكباً ناقته القصواء، حتى إذا كان بثنية المرار التي يهبط منها على قريش بركت راحلته، فقال الناس: «خلأت القصواء [عاندت]». فقال النبي

ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»[1]. أي حبسها الله عزَّ وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها[2] درءاً لمفسدة عظمى. وتحقيقاً لمصلحة عظمى فالتقط النبي ﷺ هذه الإشارة الإلهية وبنى عليها فقال: «والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها. ثم زجرها فوثبت»[3]. وصدَّقه الله تعالى فيها فقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾.

ومنها الأسماء الجميلة التي كان النبي ﷺ يلحظ فيها بشارات إلهية؛ قال النبي ﷺ: «رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع، فَأُتينا برطب من رطب ابن طاب، فأوّلت [فسرت] اسم رافع: الرفعة لنا في الدنيا، وعقبة: العاقبة لنا في الآخرة، وابن

(١) رواه البخاري (٢٧٣١- ٢٧٣٢).
(٢) فتح الباري (٥/٣٣٦).
(٣) رواه البخاري (٢٧٣١- ٢٧٣٢).

طاب: أن ديننا قد طاب»[١].

ومنها رؤيا نبي الله يوسف عليه السلام ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾، فأولها أبوه يعقوب عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾. والقرآن مليء بالألطاف الإلهية من الإشارات المبشرات، وقد مر بعضها في هذا الكتاب. ومنها ما نقله ابن كثير عن بعض السلف أنه حاول من القرآن استخراج كون ليلة القدر ليلة سبع وعشرين من قوله تعالى في سورة القدر: ﴿هِيَ﴾، لأنها هي الكلمة السابعة والعشرون من السورة[٢].

ثانياً: فيما يتعلق بلبث أصحاب الكهف. أما لبثهم ثلاث مائة سنة شمسية فلعل فيه إشارة إلى إخبار النبي صلى الله عليه وسلم كما سبق بيانه أنك ستلبث في كهفك عند هجرتك ثلاثة أيام شمسية.

ثالثاً: أما حكمة تفصيل اللبث بالحساب القمري ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ فقد ذكر العدد تسعة في السورة المجاورة السابقة لها؛ سورة الإسراء؛ سورة الاختصاصات ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾، وذكر في سورة النمل في قصة موسى عليه السلام ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ

(١) رواه مسلم (٢٢٧٠).

(٢) تفسير سورة القدر.

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾، وذكر العدد في نفس السورة ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾، وهل من مناسبة بين هذا العدد وسورة التوبة وهي السورة التاسعة في ترتيب القرآن والتي توافق عام غزوة تبوك وهو العام التاسع من الهجرة؛ وهو العام الذي حج فيه المسلمون فأُعْلِن فيه البراءةُ من المشركين ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾؛ فهل من تناسب بينهما؟

١- قال الله تعالى في آية الكهف ﴿ثَلَـٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾، وهذه السنون بعد خروج المؤمنين أصحاب الكهف من بلاد الشرك مهاجرين إلى الله تعالى، ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ فلعل فيها إشارة إلى تسع سنوات قمرية بعد هجرة النبي ﷺ.

٢- ومما يقوي هذا المنحى أن سورة التوبة هي السورة **التاسعة** في ترتيب المصحف، وفيها أحداث غزوة تبوك التي حدثت في العام **التاسع** الهجري القمري، وفيها إعلان البراءة من المشركين في الحج والانتصار الشامل على الجزيرة في مستهلها وهو في العام **التاسع** الهجري القمري ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾.

٣- ولعل ما ورد في سورة القصص إشارة إلى موعدها. إذ قال شيخ مدين لنبي الله موسى عليه السلام بعد أن هاجر من مِصْر فارّاً إلى

مدين: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ ما بين ٨-١٠ سنوات، وسماها بالحجج إشارة إلى كونها أعواماً قمرية ﴿أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ قيل: على أن تحج بي ثماني سنوات؛ قال العسكري: «الحجة تفيد أنها يحج فيها...، فسميت بها السنة كما يسمى الشيء باسم ما يكون فيه»[(١)]. وقال البقاعي: «يكون فيه الحج في كل واحدة منها إلى بيت الله الحرام»[(٢)]. أي تكون أجيراً عندي لتأدية ثماني حجج، فإن أتممت لي عشر حجج في عشر أعوام فأفضل.

فلعل فيها إشارة وبشارة للنبي ﷺ بفتح مكة في العام الثامن والحج في العام العاشر لاسيما وفي نهاية سورة القصص ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾. إذ فتح النبي ﷺ مكة موضع الحج في العام **الثامن** من الهجرة النبوية، وأعلن التدمير الشامل لمشركي الجزيرة في الحج في العام **التاسع** من الهجرة ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١﴾، ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾. فوفدت إليه الوفود في العام **التاسع** من الهجرة ثم أتم الله

(١) الفروق في اللغة (٤٨٧).
(٢) نظم الدرر (٥/٤٧٩).

الدين ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ بحج النبي ﷺ في العام **العاشر** كما قال شيخ مدين ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ .

وقد غادر النبي ﷺ مكة بعد حجة الوداع العام **العاشر** الهجري القمري ولم يرجع إليها حتى توفاه الله تعالى كما غادر نبي الله موسى عليه السلام مدين ولم يرجع إليها بعد العام **العاشر**.

٤- أما ورود العدد تسعة في سورة النمل مرتين:

فالأول منهما ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾. فالآيات جمع آية، والآية هي العلامة الواضحة سواءً من معجزة نبوية أم آية كونية سماوية أم أرضية من خلق الشمس والقمر بمنازله واختلاف الليل والنهار والسنين الناشئة عنهما والفلك والماء والسموات والأرضين وتصريف الرياح والسحاب وغيرها؛ فجميعها آيات ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾؛ قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾.

فالسنون من آيات الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا

بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥﴾ فسماها المولى جل وعلا آيات. إذ تُضبط السنة بأشهرها وأيامها بحركة الشمس والقمر بقوانين ثابتة دقيقة؛ قال سبحانه: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ ثم قال سبحانه: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ فسماها الله تعالى آيات .

وهذا الاختلاف بين السنوات الشمسية والقمرية لحكم عظيمة منها أن المواسم المناخية تتعلق بالسنة الشمسية، وتتعلق المواسم التعبدية بالسنة القمرية، فكلها آيات دالة على رحمة الله بعباده وسعة بره وإحسانه إليهم، ودالة على مشيئة الله وإرادته النافذة .

٥- وأما الموضع الثاني فهو في قصة ثمود ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ٤٨﴾ فكان مآلهم: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥١﴾؛ هل من فائدة لذكر عدد الرهط التسعة وتدميرهم؟ لاسيما وقد قال سبحانه بعدها بعد إهلاكهم: ﴿... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥٢ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾؛ فإهلاك العدو ونجاة المؤمنين وعلو كعبهم آية.

تكرار العدد تسعة في أول السورة وأوسطها لعله يشير إلى موعد الآية الإلهية لانتصار المؤمنين. فاعدد تسعاً من الآيات؛ وكل سنة آية، فاعدد تسع سنوات، ففي السنة التاسعة ستجد تأويل قول الله تعالى: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

●هل السنة التاسعة من العهد المكي أم بعد الهجرة؟ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾.

ملخص ما سبق أن سورة القصص تشير إلى المكث ما بين ٨-١٠ سنوات قمرية في المهاجر ثم الرجوع إلى البلد ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾.

وسورة النمل تشير إلى تدمير فساد قوم ثمود وربطه بعدد الرهط **التسعة**، وتشير إلى **تسع** آيات بعد خروج نبي الله موسى راجعاً إلى بلده مصر التي فر منها وقد جاء بها إلى فرعون.

وسورة براءة السورة **التاسعة** وفيها تمت البراءة والإعلان العام لتدمير المشركين في العام **التاسع** عام الحج أول حجة للمسلمين .

وورد في سورة الكهف ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ **تسع** سنوات قمرية؛ ففيها بشارة للنبي ﷺ في بداية العهد المكي بانتصار النبي ﷺ في العام التاسع بعد هجرته ﷺ ودخوله مكة فاتحاً؛ والله أعلم.

المبحث الثامن
صحة أثر قراءة سورة الكهف يوم الجمعة

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق».

١- رواه هشيم عن أبي هاشم الرماني عن أبي مجلز عن قيس بن عُبَاد عن أبي سعيد الخدري موقوفاً من قوله: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق»(١).

---

(١) رواه عنه أبو عبيد (الفضائل ١٣١) وأحمد بن خلف (ابن الضريس في الفضائل ٢١٢) وسعيد بن منصور (البيهقي في الشعب ٢٢٢٠) بهذا اللفظ.
وخالفهم محمد بن الفضل (الدارمي [٢/٤٥٤]) فرواه بلفظ «ليلة الجمعة»؛ فهي شاذة.
وخالفهم آخرون دونهم في المرتبة عن هشيم فرفعوا الحديث.
فالمحفوظ عن هشيم رواية الثلاثة موقوفاً بلفظ «يوم الجمعة»، وقد صرح هشيم بسماعه من أبي هاشم من رواية الإمام الثقة الفاضل أبي عبيد، ورواية المحدث الثقة المصنف سعيد بن منصور، وعارم الثقة الثبت.
وأما قول الإمام أحمد: «لم يسمعه هشيم من أبي هاشم» (العلل لعبد الله [٢١٥٣]) فهو ليس عن هذا الحديث ولكن عن الزيادة التي رواها سفيان وشعبة عن أبي هاشم بسنده، حيث رويا الحديث السابق بزيادة «من توضأ ثم فرغ من وضوئه ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك؛ أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، ختم عليها بخاتم فوضعت تحت =

٢- ورواه سفيان الثوري عن أبي هاشم بسنده عن أبي سعيد موقوفاً بلفظ:

«من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه، ولم يكن له عليه سبيل، ومن قرأ سورة الكهف كان له نوراً من حيث قرأها ما بينه وبين مكة»[١].

٣- ورواه شعبة عن أبي هاشم موقوفاً بلفظ:

«من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نوراً من حيث يقرؤها إلى مكة، ومن قرأ آخر الكهف فخرج الدجال لم يسلط عليه»؛ هذا

= العرش فلا تكسر إلى يوم القيامة»، لفظ سفيان.

قال عبدالله: سمعت أبي يقول: ثنا هشيم عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدري قال: إذا توضأ الرجل فقال: «سبحانك اللهم وبحمدك». قال أبي: لم يسمعه هشيم من أبي هاشم. وهذا من دقة الإمام أحمد حيث خص متن الوضوء؛ وهشيم فصل المتنين، فروى متن سورة الكهف بتصريحه بالتحديث، وروى متن الوضوء بالعنعنة، فلحظ الإمام أحمد عنعنته في حديث الوضوء فبينه.

(١) رواه ابن مهدي عنه، النسائي (١٠٧٢٤) والحاكم (٥٦٤/١-٥٦٥) وهي أصح الروايات عن سفيان عن أبي هاشم.

أما رواية قبيصة فهي ضعيفة عن سفيان فذكر «يوم الجمعة».

ورواه عبدالرزاق عن سفيان من طريق الدبري؛ والدبري سمع من عبدالرزاق بعد تغيره .

ورواه نعيم بن حماد عن سفيان؛ ونعيم ضعيف .

فما صح عن سفيان إلا طريق ابن مهدي.

لفظ غندر[١].

فشعبة اضطرب فيه: تارة يرويه مرفوعاً وأخرى موقوفاً.

أما الأصح عن هشيم وسفيان هو الوقف، ولكن هشيماً زاد «يوم الجمعة» وسفيان لم يذكرها .

فتترجح زيادة «يوم الجمعة» في الرواية الموقوفة لعدة أسباب:

١- اضطرب فيها شعبة ما بين الوقف والرفع، والذين رفعوه من الثقات عن شعبة في قراءة سورة الكهف أكثر عدداً، بينما الذي صح عنه رواية الوقف غندر فهو وإن كان صحيح الكتاب عن شعبة وفيه غفلة إلا أن يحيى بن كثير وعبدالصمد ثقات في شعبة.

وإذا اضطرب شعبة فيه فهذه القرينة تؤثر في قبول لفظ حديثه إذ قال ابن حجر في التهذيب في ترجمة قتيبة بن سعيد أبي رجاء: «إذا جاز أن يغلط رجل في الإسناد فجائز أن يغلط في لفظه من المتن».

(١) رواه غندر عنه موقوفاً (السنن الكبرى للنسائي ١٠٧٢٣).
ورواه يحيى بن كثير (النسائي ١٠٧٢٢) وعبدالصمد بن عبدالوارث (البيهقي في الشعب ٢٤٩٩) مرفوعاً؛ والجميع ثقة.
فالمحفوظ عن شعبة موقوفاً ومرفوعاً، وتؤخذ زيادة الرفع لأنهما ثقتان، وإن كان غندر أصحهم عن شعبة.

وكما هو الحال في ترجيح البخاري لفظ رواية سفيان على لفظ شعبة في حديث سفيان: «قرأ النبي ﷺ غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فقال: آمين. ومد بها صوته». فرجحها البخاري على رواية شعبة التي لفظها: «وخفض بها صوته»، وقد أخطأ شعبة في بعض أسماء رواة هذا الحديث[(١)].

٢- فتحصل لدينا روايتان صحيحتان موقوفتان لا اضطراب فيهما: رواية هشيم التي فيها ذكر «الجمعة» ورواية سفيان دون زيادة «الجمعة». فإذا قورنت رواية هشيم برواية سفيان؛ فهشيم يقدم على سفيان. قال عبدالرحمن بن مهدي: كان هشيم أحفظ للحديث من سفيان الثوري. وقال يحيى بن سعيد: هشيم في حصين أثبت من سفيان وشعبة. وقال ابن المبارك: من غيَّر الدهر حفظه فلم يغير حفظ هشيم[(٢)].

٣- سفيان وشعبة أحياناً يطلبان الحديث معاً من الشيخ في مجلس واحد كما في حديث «لا نكاح إلا بولي» عن أبي إسحاق عن أبي بردة[(٣)]، فربما سمعاه من أبي هاشم في مجلس واحد ولم

(١) انظر العلل الكبير للترمذي (٥٤) (٢١٧/١).
(٢) تهذيب التهذيب ترجمة هشيم بن بشير.
(٣) انظر «النكت على كتاب ابن الصلاح» لابن حجر (٦٠٧/٢).

يذكر «الجمعة»، بينما سمعه هشيم منه بزيادة «الجمعة» في مجلس آخر فتقبل الزيادة لتساوي المجلسين.

٤- قاعدة قبول زيادة الثقة: إذا تكافأ الطريقان الصحيحان من حيث القوة والعدد قبلت زيادة الثقة. وقد تكافأت رواية هشيم وسفيان، فتقبل زيادة هشيم بذكر الجمعة، فكيف إذا كان هشيم يقدم على سفيان. وإما رواية شعبة فاضطرب في سندها بين الرفع والوقف فلا يعول عليها في ترجيح المتن. والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين

قائمة المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما؛ ضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي.

٣- إرواء الغليل؛ محمد ناصر الدين الألباني.

٤- بدائع التفسير؛ ابن القيم.

٥- بدائع الفوائد؛ ابن القيم.

٦- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار؛ عبدالرحمن بن رجب الحنبلي.

٧- الترغيب والترهيب؛ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.

٨- تفسير ابن جرير الطبري.

٩- تفسير ابن كثير.

١٠- تفسير البيضاوي .

١١- تفسير الجلالين.

١٢- تفسير القرطبي.

١٣- تهذيب التهذيب؛ أحمد بن حجر العسقلاني.

١٤- جامع بيان العلم وفضله؛ ابن عبد البر.

١٥- الجامع لشعب الإيمان؛ أحمد بن الحسين البيهقي.
١٦- حاشية الجمل على الجلالين المسمى بالفتوحات الإلهية؛ سليمان بن عمر العجيلي المعروف بالجمل.
١٧- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسمى بعناية القاضي وكفاية الراضي؛ القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي.
١٨- درة التنزيل وغرة التأويل؛ الخطيب الإسكافي.
١٩- الدر المنثور؛ السيوطي .
٢٠- رسالة في المسيح الدجال؛ محمد ناصر الدين الألباني.
٢١- الروض الريان؛ شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان.
٢٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة؛ محمد ناصر الدين الألباني.
٢٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ محمد ناصر الدين الألباني.
٢٤- سنن ابن ماجه.
٢٥- سنن أبي داود.
٢٦- سنن الترمذي.
٢٧- سنن الدارمي.
٢٨- سنن سعيد بن منصور.
٢٩- السنن الكبرى؛ أحمد بن شعيب النسائي.
٣٠- السنة؛ ابن أبي عاصم.
٣١- شرح العقيدة الطحاوية؛ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

٣٢- صحيح ابن خزيمة.
٣٣- صحيح البخاري.
٣٤- صحيح مسلم.
٣٥- العلل الكبير؛ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي.
٣٦- العلل ومعرفة الرجال؛ عبدالله بن أحمد بن حنبل.
٣٧- غرائب القرآن ورغائب الفرقان؛ نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري.
٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ أحمد بن حجر العسقلاني.
٣٩- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن؛ أبو يحيى زكريا الأنصاري.
٤٠- الفروق في اللغة؛ أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري.
٤١- فضائل القرآن؛ محمد بن أيوب بن الضريس.
٤٢- فضائل القرآن؛ جعفر بن محمد الفريابي.
٤٣- فضائل القرآن؛ أبو عبيد القاسم بن سلام.
٤٤- كشف المعاني في المتشابه والمثاني؛ بدر الدين ابن جماعه.
٤٥- مباحث من التفسير الموضوعي؛ د. مصطفى مسلم.
٤٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر؛ ضياء الدين نصر الله بن الأثير.
٤٧- مستدرك الحاكم النيسابوري.
٤٨- مسند الإمام أحمد؛ تحقيق أحمد شاكر.
٤٩- مشكاة المصابيح؛ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.
٥٠- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية؛ أحمد بن حجر العسقلاني.

٥١- معجم الطبراني الكبير.
٥٢- موطأ مالك.
٥٣- ملاك التأويل؛ أحمد بن الزبير الغرناطي.
٥٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي.
٥٥- النكت على كتاب ابن الصلاح؛ أحمد بن حجر العسقلاني.

* * *

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

تم بحمد الله

تم الإخراج بشركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
- هاتف ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥ بدالة المطبوعات 24810010 - الكويت